المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخمسين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٧ — الموافق ١١ شعبان سنة ١٣٣٥

سياحة ذرة ماء

نشر الاستاذ فيرشيلد من اساتذة مدرسة روشستر باميركا سلسلة مقالات في المجلة العلمية الشهرية وضعها على لسان ذرة ماء وجعلها تاريخاً للادوار التي يمرُّ عليها الماء من حين تكوُّنهِ الى ان يقضي كل الاعمال التي يقوم بها في احواله المختلفة كبخار وسحاب ومطر وثلج وجليد وما اشبه ويناها كلها على الحقائق العلمية المقررة فلخصناها فيما يلي . ويراد بذرة الماء اصغر جزء يمكن ان يكون من الماء

بداءة امري

انا ذرة ماء صغيرة جداً لا تراني عين انسان ولو استعانت على رؤيتي باقوى النظارات المكبرة ومع ذلك فانا موجودة ولا شبهة في وجودي ومن امثالي تتألف الامطار والانهار والبحار وكل مجامع المياه . وهي موجودة في اجسام كل الحيوانات والنباتات بل اكثر هذه الاجسام مؤلف منها وموجودة ايضاً في كل المواد الارضية تقريباً حتى في الصخور والمعادن . وقد عشتُ انا حتى الآن الوفاً ملايين من السنين ودرتُ حول الكرة الارضية مراراً عديدة فاذا شئت ان تعرف شيئاً من تاريخي فأعرني سمعك

ولدت منذ دهور طوال فلا يسعني ان اقص عليك قصتي كلها لان قصتها يستغرق سنين كثيرة . انت قصير العمر قلما تعيش مئة سنة وانا قد مرَّ عليَّ مئة مليون سنة على الاقل لقيتُ فيها من الغرائب ومرَّ عليَّ من العبر ما لا يكفي لوصفهِ الأ القرون الطوال . وزد على ذلك ان اشغالي كثيرة فلا اتفرَّغ لقص القصص

كان زمن لم اكن فيهِ ماء ثم تكوَّنتُ على اسلوب غريب وقد كان ذلك منذ ملايين

كثيرة من السنين كما تقدّم . تكوّنتُ في عنق بركان اي جبل نار من جبال النار القديمة التي ظهرت في الارض حين جمودها ثم خمدت واندثرت

لم اولَد كما يولد النبات والحيوان من اب وام بل تكوّنت تكوناً من اتحاد جوهرين من الميدروجين بجوهر من الاكسجين . فانا اذاً جسم مركّب تركيباً كيماويًّا ولّدتني المادة والقوة باتحادهما

والجواهر الثلاثة التي تكوّنتُ باتحادها وُجِدَتْ قبلي بادهار لا تحصى فتاريخها اطول من تاريخي ولا بدَّ من ان يكون مشحوناً بالغرائب ولو عرفناهُ لوجدنا فيهِ سبيلاً لمعرفة اصل الشمس وما اصاب النجوم في غابر الازمان . فان هذه الجواهر الثلاثة كانت في القديم او الغبار العالمي الذي تكوّنت الشمس منهُ ثم لمّا انفصلت السيّارات عن الشمس كان نصيب هذه الجواهر مع الارض كأنها علمت ان الارض ستكون داراً للاحياء ففضّلتها على غيرها من السيارات . وهي على صغرها كان لها بدٌّ في تكوين الكرة الارضية ولما تكوّنتُ انا منها كانت هي في عنق بركان كما تقدّم ولم يكن في الامكان ان تتحد معاً وهي في جوفهِ لشدة الحرارة والضغط هناك فلما صعدتْ الى عنقهِ وقلّت الحرارة المحيطة بها تعانقت واتحدت وصارت جسماً واحداً وهو انا صاحبة هذا التاريخ . ولما تكوّنتُ لم اكن وحدي بل كنت ذرة من ملايين لا تحصى وقد تكوّنتُ كلها كما تكوّنتُ انا وكانت حرارتنا شديدة جدًّا وكان الضغط علينا شديداً يزحمنا بعضنا مع بعض لكننا تمكنّا من الصعود في عنق البركان فقلَّ الضغط علينا وانفرجنا بغتةً وصرنا بخاراً وكان لانفراجنا هذا انفجار شديد مزّق فمّ البركان تمزيقاً واطارها في الجو هباءً منثوراً . فصعدنا في الجو عموداً من البخار ارتفاعهُ اميال كثيرة . ولدلّ اكثر مياه الارض وبحارها تكون من الاكسجين والميدروجين على هذه الصورة

طيراني في الجو

كنتُ من ذرات البخار التي نسمّيها فمّ البركان كما تقدّم فوجدتني طائرة في الجو يحملني الهواء الصاعد الى اعاليهِ . لم اقس الارتفاع الذي بلغتهُ لانهُ لم يكن في يدي مقياس ولكنني ارجح انني بلغت عشرة اميال من الارتفاع فوق سطح الارض ووجدت هناك تحيط بي جواهر الاكسجين والنتروجين التي يتألف الهواء منها وحولنا ملايين لا تحصى من ذرات الماء وهي تروح وتجيء بسرعة فائقة و يصدم بعضها بعضاً او تصدم جواهر الهواء . ولا اعلم ماذا كانت غايتها من حركاتها هذه بل لا أعلم ما هي الغاية من الوجود كلهِ

ثم عبثت بنا الرياح وساقتنا شرقاً لان الرياح في تلك الاعالي تهب دواماً من الغرب الى الشرق فدرت حول الارض مع غيري من ذرات الماء ودقائق الهباء العائم في الهواء

كان عيشنا حينئذٍ رغداً والزمان مساعداً فان الهواء كان لطيفاً ونحن ذرات الماء كنا في سعة ولو كنا نسري بخطر ذعاباً وايباباً لان السكون ليس من طبعنا وآيتنا « في الحركة بركة » لكن حركاتنا هذه كانت تستلزم تصادمنا بعضنا ببعض فتصدم كل واحدة منا غيرها ملايين صدمة في الثانية من الزمان لشدة مرونتنا

كان مقامنا فوق كل الغيوم والعواصف لانها انما تكون في طبقات الجو السفلى وكنا نرى السماء فوقنا سوداء والشمس زرقاء وكنا ننظر النجوم في رائعة النهار . والهواء هناك لطيف جداً تبلغ كثافته عشر ما هي على سطح الارض لكن لطافته هذه جعلت اشعة الشمس شديدة الحرارة لانه لا يمتص شيئاً يذكر منها ولذلك كان برده شديداً تحت درجة الجليد. فان اشعة الشمس كانت تحرقه فلا يكاد يسلب شيئاً منها بدفأ به . لكن الحر لم يؤثر فيّ لانه انما يؤثر فينا كان جسمه مؤلفاً من ذرات كثيرة متراصة فيحركها اما انا فجسمي ذرة واحدة

دخولي السحاب

مرّ علينا زمان طويل ونحن على هذه الحال ثم برد جانب من الهواء حيث كنت فاجتمع الوف من حولي ذرة من الهباء الطائر في الهواء وصار من مجموعنا نقطة ماء جامد اي بلورة من بلورات الجليد ولكنها كانت صغيرة جداً فبقيت عائمة في الهواء وتكونت حينئذٍ بلورات كثيرة من الجليد كما تكونت بلورتنا وتألف من مجموعنا سحابة كبيرة بقيت طائرة في الهواء ولقد كان ذلك قبلما وُجد الانسان على وجه الارض بل قبلما وجدت كل الحيوانات التي تتنفس الهواء . اما اسماك البحر فكانت موجودة ولو نظرت الى السماء حينئذٍ لرأتنا سحابة لطيفة طائرة في القبة الزرقاء

وكانت دقائق الهواء تزدحم احياناً حول بلورتنا الجليدية وتهزها وتقرقنا بعضنا عن بعض فلا يبقى للسحابة اثر ظاهر لان الحرارة تزيد حينئذٍ فتبخر بها بلورات الجليد . وتكوّر ذلك مراراً عديدة واخيراً اتفق اننا كنا في طبقات الهواء السفلى وكانت الدقائق كلها قد قربت بعضها من بعض وزادت سرعة اهتزازها التي معناها ان حرارتها زادت فايح لنا ان نلصق بذرة من الغبار فتكوّن منا قطرة ماء صغيرة وتكوّن من غيرنا قطرات ماء اخرى مثل قطرتنا . صار مجموع هذه القطرات سحابة مائية صغيرة كما حدث من بلورات الجليد في طبقات الجو

العليا وصحابتنا الثانية المتكونة من قطرات الماء زادت تجمعاً باضافة ذرات اخرى من الماء اليها حتى صار منها سحابة كبيرة سوداء تغطي وجه السماء وتحجب اشعة الشمس عن جانب من سطح البحر . كنا عرضة حينئذٍ لقوتين متضادتين الواحدة قوة الجاذبية وهي تجعل ذرات الماء تتجاذب حتى تتكوّن منها قطرات كبيرة والثانية قوة الدفع الكهربائي وهي تجعل ذرات الماء تتدافع وتتباعد ولكن هذه القوة الثانية ضعفت رويداً رويداً وزادت القوة الاولى اي قوة الجذب فزاد التئام قطرات الماء بعضها مع بعض حتى كبرت وصارت اثقل من ان يحملها الهواء فانحدرت منهُ ووقعت على الارض مطراً وهنا ضاع استقلالي لانني صرت جزءاً صغيراً من مياه البحر الخضم اي الاوقيانوس

في الاوقيانوس

لما دخلت الاوقيانوس رأيت تغييراً كبيراً فمن ذرة اصغر من ان تُرى سابحة في الفضاء او مشتركة مع غيرها في بلورة من الجليد او نقطة من الماء الى بحر خضم يجمع ملايين الملايين من الذرات امثالي فان النقطة الصغيرة التي نقف على رأس الابرة تحتوي على ملايين من هذه الذرات

لما كنتُ في الهواء كنت اسيرة على نوع ما والهواء قابض عليَّ اما الآن فصرت اقبض على غيري من المواد الذائبة في الماء . وهذه المواد كثيرة مختلفة ولها عند العلماء اسماء يعسر تذكرها واشهرها ملح الطعام الذي يسمى عندهم كلوريد الصوديوم او الكلوريد الصوديك ويتلوهُ كلوريد المغنيسيوم ثم كبريتات المغنيسيوم والكلسيوم والبوتاسيوم والكربونات والبروميدات واليوديدات والفلوريدات . ومن هذه المواد ايضاً الذهب والفضة فان ماء الاوقيانوس لا يخلو منها . اي انا ونحن ذرات سائلة في البحر اسرنا المواد الجامدة كما ان الهواء وهو غاز يأسر المواد السائلة ولم نكتفِ بأسر الجوامد بل اسرنا جانباً من دقائق الهواء نفسهِ فكنا له بالمرصاد الذي كان لنا لكنهُ انتقم منا فجعل يضغط علينا ويقذفنا امواجاً تعلو وتهبط وتذهب وتجيء . وانصبَّت علينا اشعة الشمس المحرقة في بعض الاماكن فاختلف ثقلنا وجربنا فكنتُ اراني تارة أقذف الى الشواطئ وطوراً تجري بي التيارات من خط الاستواء الى القطبين او تدور بي حول الارض كلها

والذرات التي اتفق وجودها على سطح البحر كانت دقائق الهواء تهجم عليها وتحاول خطفها واسرها تساعدها في ذلك اشعة الشمس فأسر العدد العديد منا الى ان جاء دوري

وانا احسب ذلك من النعم لان الاسر في الهواء حرية في جنب البقاء في الماء فانشلت من البحر وأصعدت الى اعالي الجو وأطلق سبيلي هناك فجريت على وجهي لا عمل ولا عناء ولا شغل الا التطلع الى ما تحتي من البر والبحر

في نهر من الجليد وجبل منهُ

ومرَّ عليَّ زمان طويل وانا اجول على هذه الصورة مرة منفردة ومرة مشتبكة في سحابة من ابخار الى ان اشتد عليَّ البرد يوماً فدخلتُ بلورة صغيرة من الجليد في شكل موشور مثلث صافي الاديم شفاف وبقيتُ هذه البلورة عليَّ وغيرها في الهواء البارد تكثر اشعة النور فتكوَّن منها هالات حول الشمس والقمر ثم كبرت بلورتي رويداً رويداً فصار منها رقعة من الثلج مسدسة الجوانب وجرى مثل ذلك لغيرها من البلورات وتكوَّن من مجموعنا سحابة ثلج حلقت في الجو ومرَّت فوق جبل شاهق من الجبال الغديمة التي لم يكن لي معرفة بها فأضفنا الى الثلج الكثير الذي كان ذلك الجبل مغطًّى به ثم وقع فوقنا غيرنا من رقع الثلج فدُفنتُ تحتها. وشتَّان بين اقامتي هناك والثلج الشديد البرد يحيط بي من كل جانب وبين سيري في البحار الاستوائية تدفئني اشعة الشمس الا ان الثلج الكثير الذي كنت مطمورة به لم يحلْ لهُ السكون الجميل يزلق عن جوانب الجبل زلقاً مستمرًّا ولكنهُ بطيء جداً. واشتد الضغط عليَّ من تراكم الثلج فوقهُ فحوَّلهُ الى جليد فصرت جزءاً من جسم صلب شفاف كالزجاج وجرى مجموعنا على سفح الجبل نهراً من الجليد. سبحان من يغير من حال الى حال فقد كنت بالامس ذرة من ابخار مطلقة العنان فصرت الآن جزءاً من جسم جامد صلب تصعب عليَّ فيه الحركة التي خُصَّت بها الجواهر كلها. لما كنتُ في الهواء كنت اتحرَّك كما اشاء. وبقي لي شيء من الحرية وانا في الماء. اما الآن فصرت في سجن ضيق بارد تجر عليَّ فيه قرونٌ كثيرة لا ارى النور ولا اقوى على العمل. ظلام دامس وسكون يخمد الانفاس وحياة هرأها البرد فزالت آثارها

ومرَّت القرون ونهر الجليد يسير الهوينا في تحدره الى ان فرغ صبري واخيراً ظننت ان النهر وصل الى منتهى سيره فاحمد السرى عند الصباح ولكن كانت خاتمة المطاف سيفي البحر الخضم ثانيةً فانقدَّت قطعة كبيرة من ذلك النهر ووقعت في البحر جبلاً من الجليد وانا في قلب هذا الجبل فسار سيراً بطيئاً تتقاذفهُ الامواج الى ان تمزَّق وتكسر وذاب كلهُ فعدت الى البحر الذي صعدت منهُ. وسأتي على ثمة لصقي في الاجزاء التالية

حرب الطيارات والغوّاصات

غيّرت هذه الحرب اساليب الحروب فترك الجنود حصونهم المقامة فوق الارض وتحصنوا في خنادق حفروها تحتها لانهُ ما من حصن مهما كان منيعاً يقوى على الثبات امام المدافع الحديثة . وكانت الدول المتحاربة تميتُ عشرات الالوف ومئات الالوف من جنودها فصارت تميتُ الملايين . وكانت تحسب نفقاتها الحربية بملايين الجنيهات وعشرات الملايين فصارت تحسبها بمئات الملايين والوف الملايين . ولم يكن للغواصات ولا للطيارات شأن يذكر فصار لها الشأن الاكبر

انبأتنا التلغرافات قبيل كتابة هذه السطور ان طيارة مائية ضربت سفينة بحارية بطربيد فاغرقتها . فهذه ثالثة الاثافي ان لم تكن آخر منهم في كنانة الدهر لان تسلُّح الطيارات بالطربيد لم يكن معروفاً فاذكرنا ذلك مقالة نشرت في الجزء الاخير من مجلة لندن عدَّد فيها كاتبها فعال الطيارات والغواصات فاقتطفنا منها الحوادث التالية

اما تلك الغواصات بسفن الصيد والسفن التجارية وسفن النقل وكل السفن غير المدرعة او التي دروعها غير منيعة فاشتدَّ صارت اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر حتى لقد ظنَّ الالمان ان الغواصات ستكون سلاحهم الاسمى في هذه الحرب . وقال الانكليز ان اكبر المخترعين منهم واشهر المستنبطين مهتمون باكتشاف اسلوب للقضاء على الغواصات او للدره شرها وقال الاميركيون ان مخترعهم الاكبر المستر اديسن ومعهُ جماعة كبيرة من المهندسين ورجال الاختراع مهتمون باستنباط وسيلة تقضي على الغواصات

والمعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة . ومن السفن الحربية التي اشتبكت مع الغواصات في هذه المعارك السفّانات . وهي والغواصات تقاتل خصمها بالطربيد . وللغواصة مزية على السفّانة لانها تستطيع ان تدنو من خصمها وهي تحت الماء فتراه ولا يراها حتى اذا صارت على مقربة منهُ رشقت قليلاً ورشقتهُ بطربيدها . من ذلك ان الغواصة التي غرقتها ١٤ من الغواصات الانكليزية هاجمت مرةً سفّانة ونقالة عثمانيتين في بحر مرمرا وكانت النقالة مسلحة وفيها ٦٠٠٠ جندي يبتادقهم لكن الغواصة استطاعت ان ترمي النقالة بطربيد فاغرقتها وكانت مدافع النقالة ومدافع السفّانة قد أطلقت عليها مراراً فاتلفت عيناً من عينيها وخافت ان تتلف العين الثانية فلاذت بالفرار بعد اغراق النقالة

وحدث مثل ذلك للغواصة الروسية تيولن فانها التقت بنقالة مسلحة في ١٢ اكتوبر

قرب البوسفور وكان لبطان النقالة المائي فدنت الغواصة منها واطلقت مدافعها عليها بغتة فاجابتها النقالة بمدافعها . ودام اطلاق النار من الطرفين ساعة ولكن الفرض الذي امام الغواصة اكبر جداً من الغرض الذي امام النقالة فسهل اصابتهُ فاضطرت النقالة ان ترفع راية التسليم لان النار اضطرمت في اماكن كثيرة منها من مدافع الغواصة وكان قبطانها قد وقع في البحر فصعد بحارة الغواصة اليها واطفأوا النار منها واستلموها وقادوها بمن فيها الى مقاستوبول

ان كانت المعارك التي دارت رحاها بين الغواصات والسفن الحربية قليلة فالمعارك التي وقعت بين الغواصات والطيارات اقل منها . واولى هذه المعارك دارت بين غواصة انكليزية و بلون من نوع تسبلن وذلك في الرابع من شهر مايو سنة ١٩١٦ . فان ذلك البلون ارسلهُ الاسطول الالماني للاستطلاع في معركة جتلند البحرية فرآهُ طرادان خفيفان من طرادات الانكليز واطلقا النار عليهِ ليسقطاهُ او ليمنعاهُ من رمي القنابل لان القنبلة الواحدة اذا وقعت على سفينة فقد تقضي عليها فاصابتهُ قنبلة من قنابل الطرادين وكادت تعطلهُ فلاذ بالفرار ورأتهُ حينئذٍ غواصة انكليزية وكان قد اضطرَّ ان ينخفض من علوهِ الشاهق فاطلقت عليهِ قنابل مدافعها واتلفتهُ فوقع في البحر وغرق اكثر الذين كانوا فيهِ وانقذت الغواصة الباقين وهم سبعة وعادت بهم الى انكلترا . ورآها طراد المماني وهي راجعةٌ واطلق النار عليها فاضرَّ بها ولكنهُ لم يغرقها لوصلت بأسراها سالمةً وهي اول غواصة اصطادت مركباً هوائياً

وقد نقع الحرب بين غواصة وغواصة كما حدث في بحر الادرياتيك في ١٧ يونيو سنة ١٩١٥ اذ التقت الغواصة مدوزا الايطالية بغواصة نمسوية وكانت الغواصتان غائصتين في الماء لا يظهر منها الا عيناها فكانت كلٌّ منهما تجهل وجود الاخرى على مقربة منها . واتفق ان الغواصة الايطالية صعدت الى وجه الماء لتغير هواءها فرأتها الغواصة النمسوية بينها واطلقت عليها طريداً فاغرقتها ووُجد خمسة من بحارتها احياء فأنقذوا وجيء بهم الى پولا وانقطع خبر الغواصة النمسوية فلم يعلم حينئذٍ ماذا جرى لها . و بعد حين كان الغواصون يبحثون عن الغواصة الايطالية في قاع البحر فوجدوا الغواصة النمسوية الى جانبها . واتضح حينئذٍ ان الغواصة الايطالية لطمت الغواصة النمسوية وهي هابطة فاغرقتها معها

ويشبه ذلك ما حدث لغواصة نمسوية اخرى ومدمرة ايطالية فان المدمرة كانت تحفر نقالة ايطالية فيها ٣٠٠٠ جندي فلما رأت الغواصة هجمت عليها مسرعة لكي تنظمها وتغرقها لكن الغواصة غاصت في الماء حالاً فرمتها المدمرة بالقنابل فاصابتها وعطلتها حتى اضطرت

ان تعود الى سطح الماء وتمكنت حينئذٍ من رمي المدمرة بطريد ولم تمضِ الاَّ دقائق قليلة حتى غرقت الغواصة والمدمرة معاً ونجا ١٣ من بحارة الغواصة فوجدوا قاربا ساروا به نحو ساحل بلجيكا ونجا بحارة المدمرة ايضاً وتبعوا بحارة الغواصة واسروهم

ومن الطيارات نوع يطير في الهواء ويسبح على وجه الماء اطلقنا عليه اسم الطيارات المائية . وهذه الطيارات تحمل القنابل وتطارد الغواصات وتغرقها كما تطاردها الطيارات الهوائية وتغرقها ويسهل عليها ذلك لان الانسان اذا كان محلقاً في الجو استطاع ان يرى ما تحت الماء

ومما ذكر من المعارك التي دارت بين الطيارات والغواصات معركة ٢٦ اغسطس سنة ١٩١٥ فان طياراً انكليزياً كان طائراً فبالة استند فرأى غواصة المانية فعزم ان يوقع بها وكان وحده في طيارته فهبط الى علو ٥٠٠ قدم فوق الماء ورمى القنابل على الغواصة فاصابتها واغرقتها حالاً وقد فعل ذلك والمدافع تطلق عليه من البر ومن الغواصة ولكنه لم يحفل بها . وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٥ كان طيار انكليزي وضابط فرنسوي في طيارة امام شاطئ بلجيكا فشاهدا غواصة المانية وطرحا عليها قنبلة واحدة فاغرقتها وفي ذلك اليوم عينه التقى طيار انكليزي باربع طيارات مائية المانية ومعها مدمرة المانية امام ساحل بلجيكا فهجم على اقرب الطيارات اليه وانزلها الى البحر بنار مدفعه ففرقت حالاً ثم هجم على المدمرة لكن المدمرة قابلته بنار مدافعها ورآه رجال المدفعية من البر فسددوا اليه مدافعهم وقابلوه بنار حامية فاضطر ان يلوذ بالفرار

وفي الثلاثين من نوفمبر الماضي كانت طيارتان مائيتان تطيران قرب بُرنا في مكدونية فرأتا قطاراً يقطر بُخاراً سائراً فطاردتا اولاً وشقتاه بالقنابل فجرحت السائق ورمته من القطار وظل القطار جارياً وحده باشد سرعته من غير سائق ولا يُعلَم ما حلَّ به

وقد استخدمت الغواصات لنزع الالغام البحرية . من ذلك ان الغواصة بابين الفرنسوية عادت في بحر الشمال بعد ان نظفت من الالغام التي وضعها الالمانيون فيه فالتقت كثيراً من الالغام العائمة على وجه الماء باطلاق القنابل عليها ثم قطعت اسلاك مئة لغم آخر وربط ربانها الملازم كوشين اثنين من تلك الالغام وسار بهما الى الغرب مرتين اضافي كشاهد على ما فعل . وكثيراً ما اشتغلت الطيارات الالمانية بالتقاط الالغام من البحر واتلافها

ومن المحتمل ان تكون الطيارات المائية المجهز دواء لداء الغواصات فتنجي السفن التجارية منها اذا طارت على جوانبها في اسفارها

طرائف من ادب العرب

(٣)

عمر الخيام وحجة الاسلام

« كان عمر الخيامي مع تبحره في علوم الحكمة سيئ الخلق لهُ ضنة بالتعليم والافادة . وربما طوّل الكلام في جواب ما يسئل عنهُ يذكر المقدمات البعيدة ويراد ما لا يتوقف المطلوب على ايرادهِ ضنة منهُ بالامساك الى الجواب . ودخل عليهِ حجة الاسلام الغزالي يوماً وسألهُ عن المرجّح لتعيين جزء من اجزاء الفلك للقبطية دون غيرهِ مع انهُ متشابه الاجزاء . فطوّل الخيامي الكلام والخوض في محلّ النزاع كما هو دأبهُ وامتدّ كلامهُ الى ان اذن الظهر فقال الغزالي جاء الحق وزهق الباطل وقام وخرج »

وعمر الخيامي او عمر الخيّام وهذه اشهر شاعر فارسيّ ومن اشهر اهل زمانهِ في الفلسفة والفلك والرياضيات . وقد نظم في العربية ايضاً ومن شعرهِ فيها قولهُ :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغةٍ يحصلها بالكدّ كفي وساعدي
انت تصاريف الحوادث كلّها فكن يا زماني موعدي ومواعدي
أليس قضا الافلاك في دورها بان تعبد الى نحس جميع المساعدِ
فيا نفس صبراً في مقيلك انما تخرّ ذراهُ بانقضاض التواعدِ

والف في العربية ايضاً من اشهر مؤلفاتهِ فيها كتابهُ في الجبر ومربّعاتهُ او رباعياتهُ الصوفية اشهر من ان تعرّف . فاتت السيحكم بيديا البريطانية في وصفها : ومع ان بعض رباعياتهِ صوفية فان معظمها افكار فكّر حرّ مستقلّ المفكر يرفع عقيرتهُ محتجّاً على ضيق صدر العلماء المحافظين وغلواء الصوفية المتطرفين . وقد قاتل هؤلاء بسلاحهم فلجأ الى الصوفية في شعرهِ للقضاء على الصوفية نفسها فغار بأريهِ اذ جعلها مضغة في الافواه وترّة في الالسنة بتعريضها للتهكم والسخرية . وهو يشبه حافظاً (شاعر فارسي آخر مشهور) كلّ الشبه من هذا الوجه ولكنهُ اعلى كعباً منهُ وارفع مقاماً بلا خلاف . ولعلنا لنبهُ المتأخرون بفولتير الشرق لما رُمي بهِ من الالحاد والتعطيل ولاخفاء زندقتهِ وراء ستار الصوفية . وعندنا انهُ يشبه فولتير من حيث سلامة دبلجتهِ وظرف مجونهِ وتهكمهُ القاتل لتعصب اهل زمانهِ وحسن انعطافهِ الى بني الناس عامة واحساسهُ بما يحسّون في مرّاتهم وضرّائهم . وهنا تنتهي

اوجه الشبه . فان فولتير الفيلسوف الفرنسوي الكبير لم يكتب شيئاً يوازي شعر عمر الحكيم وبيانهُ الساحر في مدح الخمر والحب وكل الملاذ الارضية وتبرمهُ من الاقدار التي قضت على كل عظيم وطيّب وجميل في هذا العالم بالانحلال البطيء او الموت السريع وبالنسيان الابدي . وتجدهُ في شعرهِ ما تجد في شعر بيرون وسوينبرن وشوبنهور من التطير والتشاؤم والنظر الى الوجه القاتم من هذه الحياة الدنيا مما يدلُّ على ان التشاؤم الحديث ليس ابن ساعتهِ ولا هو بدعة من بدع الفكر الفلسفي والخيال الشعري »

وقد عاش الخيام في اواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر للمسيح وكان معاصراً لابي حامد الغزالي الملقب بحجة الاسلام والمعدود من اشهر علماء الكلام اي « الحجاج على العقائد الدينية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف » واشهر مؤلفاتهِ كتاب البسيط والوسيط والوجيز واحياء علوم الدين . وقد قيل في هذا الاخير « لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عما ذهب » (١)

والمشهور عن لفظ اسمهِ انهُ بالزاي المشددة نسبة الى الغزل كأنهُ كان غزّالاً هو او ابوهُ او جدهُ قبل ابيهِ . ولكن السيكلوبيديا البريطانية نقلت اسمهُ بالزاي الخفيفة وقالت في وصفهِ « انهُ فيلسوف عربي من علماء الكلام ولد في طوس وهو سليل اسرة من غزالة (قرب طوس) اشتهرت بعلومها الدينية »(٢) . ثم ذكرت تعيين نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي اياهُ مدرساً في المدرسة النظامية ببغداد فكتب يطعن في الاسماعيلية المعروفين بالحشاشين (وفي الانكليزية assassins اي السفّاحين والاصل واحد) وذكرت تركهُ التدريس فيها بدعوى تكاثر شكوكهِ وشبههِ الى حدّ ان باتت غول بقطتهِ وكابوس احلامهِ ولم تلبث طويلاً ان لبجت مجالاً للصوفية في صدرهِ

فوائد في اللغة

« القعود هو لانتقال من علوّ الى سفل ولهذا يقال لمن أصيب برجليهِ مقعد . والجلوس هو الانتقال من سفل الى علو . والعرب تقول للقائم اقعد وللنائم او الساجد اجلس . ويقولون

(١) انظر تاريخ الآداب العربية للمؤلف

(٢) وفي الكشكول ما يؤيد ذلك . فقد جاء فيهِ « ونسبتهُ الى غزالة قرية من قرى طوس » . على ان ابن خلكان يورد الروايتين ولا يرجح واحدة على الاخرى . فقد جاء فيهِ ما نصهُ :

« والغزالي بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الالف لام هذه النسبة الى الغزّال على عادة اهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون الى القصار القصري والى العطار العطاري . وقيل ان الزاي مخففة نسبة الى غزالة وهي قرية من قرى طوس . وهو خلاف المشهور ولكن هكذا قالهُ السمعاني في كتاب الانساب »

الدليل هو معلول فيخطئون لان المعلول هو الذي سقي العَلَل [1] وهو الشرب الثاني . واما المفعول من العلة فهو مُعَلٌّ »

شيء في الفلك

« رأيت في كتاب الفتوحات المكية في الباب التاسع والستين منهُ وهو الباب المعقود لبيان اسرار الصلاة ما يدلُّ بصريحهِ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من نور الشمس . وكذا في كتاب الهياكل للشيخ السهروردي ما يدلُّ على ذلك ذاتهُ قال ان الشمس هي التي تعطي جميع الاجرام ضوأها ولا تأخذ منها . قال المحقق الدواني في شرحهِ لهذا الكلام هذا يدلُّ على ان انوار جميع الكواكب مستفادة من الشمس كما هو مذهب بعض اساطين الحكماء . وجامع الكتاب (اي صاحب الكشكول) يقول هذا هو الحق . وفي المثنوي للعارف الرومي ما يدل على ما ذكرناهُ وانهُ الحق »

وكاتب هذه المقالة يقول ايضاً هذا هو الحق اذا اريد بالاجرام السيارات فقط ولم يرد الثوابت وان علم الفلك الحديث يؤيد علم الهيئة القديم فيهِ . ومما يذكر في هذا الصدد ان فلكيي العرب مثل ابناء شاكر والبتاني وغيرهم عرفوا عن الافلاك اموراً كثيرة يقرُّها علم الفلك الحديث . فقد ذكر عن ابناء شاكر (وكانوا معاصرين للمأمون) ان المأمون قرأ في كتب الفلك القديمة ان محيط كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل وطلب منهم تأييد ذلك بالبرهان العملي بقولهِ « اريد منكم ان تباشروا اختبار ذلك بانفسكم حتى تبصر هل يتحرر ام لا » ففعلوا ولذلك حديث طويل يطلب في مواطنهِ لتحقق المأمون صحة ما ورد في كتب القدماء عن مقدار دور الارض

وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب : وذكر خالد بن عبدالله المروزي وغيرهُ وقد كانوا رصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون في برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ٥٦ ميلاً فضربوا مقدار درجة واحدة في ثلثمائة وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين الف ميل ومائة وستين ميلاً ثم ضربوا دور الارض في سبعة فاجتمع مائة الف ميل واحد واربعون الف ميل ومائة وعشرون ميلاً فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذي هو مقدار قطر الارض ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلاً ونصف عشر بالتقريب والميل اربعة آلاف ذراع

---

(١) ومنهُ المثل ملَّ بعد نهلٍّ اي شربة ثانية بعد الشربة الاولى التي ارويت الغلة

بالاسود وهي الذراع التي وضعها امير المؤمنين المأمون للشياب ومساحة البناء وقسمة المنازل . والذراع مائة وعشرون اصبعاً »

وجاء في مكان آخر قوله : زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها و بحارها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها سبعة (١) آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلاً . وان من كان مسكنهُ وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليلهِ ونهارهِ ورأى المحورين اعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما اهل البلد التي مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالي و بنات نعش (الدب الاكبر) ولا يرون القطب الجنوبي » انتهى

والمعروف الآن ان دور الارض وهو ما يسمَّى بحسب الاصطلاح الحديث محيطها نحو ٢٤٨٥٧ ميلاً وقطرها نحو ٧٩١٢ ميلاً والعرب نقلوا ما تقدم عن اليونان ولكن اقدامهم فكيهم على تأييدهِ عملياً كما ورد في الروايتين المذكورتين آنفاً دليل على انهم قرنوا العلم بالعمل فلم يكونوا مجرّد نقلة ونسّاخ بل علماء درسوا وفهموا ولولا ذلك ما استطاعوا البرهان على القضايا النظرية بالعمل

وفي مروج الذهب كثير من الامور الفلكية الصحيحة ولكن كثيراً ما يُحشر بينها تخرصات ليست من علم الفلك في شيء . فبينا تراهُ يخبرك ان اهل النصف الشمالي من كرة الارض يرون القطب الشمالي و بنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي وان الكوكب سهيلاً لا يرى بناحية خراسان و يرى في العراق في السنة اياماً اذا به يقول في وصف هذا الكوكب « ولا تقع عين جمل من الجمال عليهِ الاَّ هلك على حسب ما ذكرناهُ وساذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان » . وبينا تراهُ يصف انهاراً سيحون وغيرهُ وصفاً صادقاً على الاجمال و يسمّه الجاحظ حيث زعم ان نهر السند من النيل مستدلاً على ذلك بكثرة التماسيح فيهِ ويصحح خطأهُ بقولهِ « اولم يعلم ان نهر السند يخرج من اعالي بلاد السند من ارض القنوج . ارض القمير . الخ تراهُ مونقسهُ يقع في شرّ مما وقع الجاحظ فيهِ فقد قال في وصف التمساح « يموت في دويبة تكون في ساحل النيل وجزائرهِ . وذلك ان التمساح لا دبر لهُ (كذا) وما يأكلهُ يكون في بطنهِ دوداً واذا آذاهُ ذلك الدود خرج الى البرّ فاستلقى على قفاهُ فاغراً فاهُ فينقض عليهِ طير الماء فيأكل ما ظهر في جوفهِ من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيهِ فتدب الى حلقهِ وتصير في جوفهِ فتخرقهُ وتقتلهُ » الخ

(١) في المشرع عندنا نسخة والصواب سبعة كما ترى

وهكذا كان علماء النبات والحيوان وغيرهم يفعلون ليصفون هذا النبات وذلك الحيوان ويجيدون في الوصف احياناً ولكنهم يتطرقون من ذلك الى امور تضحك الجاهل فضلاً عن العاقل . فقد قال الدميري في كلامه على الضبع مثلاً « ومن عجيب امرها انها كالارنب تكون سنة ذكراً وسنة انثى فتقع في حالة الذكورة وتلد في حال الانوثة نقلهُ الجاحظ والزمخشري في ربيع الابرار والقزويني في عجائب المخلوقات » الخ ومنهم من قال انها خنثى وانها تتولد من حيوانين مختلفين كالبغل الى غير ذلك من الترهات . ويكفي المحزون ان يفتح كتاباً كحياة الحيوان الكبرى للدميري ويقرأ خواص حيوان من الحيوانات من شعره الى شحمه فرارته فجلده فاسنانه فدمه فكبده حتى ينتفي حزنهُ وينقلب بكاؤه ضحكاً

التهتك في الادب

« توهمهُ طرفي فآلم خدهُ فصار مكان الوهم من خدهِ ثُؤرُ
وصافحهُ كفي فآلم كفهُ فمن صفح كفي في انامل عقرُ
ومرَّ بفكري خاطراً فجرحتهُ وما أرَ خلقاً قطّ يجرحهُ الفكرُ »

رأى صاحب الكشكول ان ينقل هذه الابيات وهذا لهُ ولكنهُ لما شاء التعليق عليها قال « يقال ان هذه الابيات لما بلغت الجاحظ قال .... » ويلي ذلك كلام سقيم ليس من الادب في شيء وهو من قلة الادب كلُّ شيء . ولست ادري ايهما احق بالملام القائل ام الناقل . على ان هذه شنشنة عرفناها من بعض الكتاب . فانك بينما تراهم محلقين في سماء الخيال الصافي والكمالات الصمدانية الخالية من كل شائبة اذا بك تراهم وقد تسفلوا بعد التصعد ودنسوا ذلك الخيال السامي بارجاس هذه الاقوال المخزية . حتى ان ابن الاثير المؤرخ على رزانته وعلى ان ليس في موضوعهِ مجال لامثال هذه المخازي لم يسلم منها . فانهُ عقد فصلاً تاريخياً على بني تميم وسجاح وما كان من امر مالك بن نويرة معهم وختمهُ بحكاية وابيات يستحي الخليع ان يتفوه بها . وقد كان تاريخهُ عنها في غناء بل هي منهُ كالكلف في وجه الحسناء .

والعادة عند كتاب الغرب اذا ارادوا اقتباس عبارة لا تدخل الآذان بلا استئذان ان يترجموها الى اللاتينية او اليونانية القديمة فلا يخدشوا بها اذهان الناشئة ولا يطلع عليها الاَّ من يهمهم ان يعرفوها اذ الغاية منها تقرير حقيقة لا التلهّي بنكر القول وفحشهِ

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاةٌ على عوراتهِ لدليلُ

والقلم نائب اللسان في دولة الادب

شيء من التشريح والفسيولوجيا

«كل حيوان يتنفس باستنشاق الهواء فهو انما يتنفس من انفهِ فقط الاَّ الانسان فانهُ يتنفس من انفهِ وفيهِ معاً . وسبب ذلك ان الانسان يحتاج الى الكلام بتقطيع حروف مخرج بعضها الالف[1] فيحتاج الى نفوذ الهواء فيهِ . وقد فتح بيطار ثم فرس بآلة سدت مخرجهِ فمات على المكان . والانسان اضعف شيئاً من سائر الحيوان فهو يحتال على ادراك الرائحة بالتسخين تارة وبالحك وتصغير الاجزاء اخرى . وعند على الانف منفذان دقيقان جداً ينفذان الى داخل العينين بحذاء الانوف وفيهما تنفذ الروائح الحادَّة الى داخل العينين . فلذلك تتضرر العينان برائحة الصنان[2] وتدمع من شم البصل ونحوهِ . ومن هذين المنفذين تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العينين وهي التي تجهد عند الاندفاع بالدموع . واذا حدث لهذين المنفذين انسداد كما في الغرب[3] كثرت الفضول فكثرت امراض العين لذلك »

الصحيح من هذا التشريح ومن هذه الفسيولوجيا قولهُ ان الانسان اضعف شيئاً من سائر الحيوان او بعض سائرهِ ولكن الناس على اختلاف في ذلك فان الهنود الاميركيين يميزون الاشخاص برائحتها الخاصة وهذا نتيجة التربية . والمنفذان المذكوران هما القناتان الانفيتان ووظيفتهما حمل الدموع من العين بعد غسلها ومنعها تنفذ الفضول الغليظة التي في داخل العين كما قال . اما حكاية البيطار والفرس ففيها نظر لان الحيوان يستطيع التنفس من فيهِ كالانسان ولو لم تكن وظيفة الفم الاصلية التنفس . ألم ترَ الكلب والهر يتشاهيان وتارُّجهما بما يصحبهُ من شهيق وزفير انما يكون بطريق الفم . او لم تسمع الحمار ينهق بصوتهِ المنكر وليس الصفير الذي يصحب ذلك النهيق سوى الصوت الحادث من دخول الهواء الى انفهِ وفيهِ

ومن غريب توارد التعابير قولهُ « مات على المكان » وهي مثل قولهم بالانكليزية died on the spot ومعناها حالاً او في ارضهِ كما تقول العامة . فكأنها مترجمة عن الانكليزية او التعبير الانكليزي مقتبس من العربية

وامثال هذا التعبير ليست قليلة فمنها قولهم اخذ على نفسهِ وفي الانكليزية to take upon one's self . ومنها قولهم حفنة من الرجال وفي الانكليزية a handful of men فقد نقل عن ابي بكر قولهُ « وما نحن الاَّ حفنة من حفنات الله » اي شيء يسير

(١) هكذا وردت في الصواب الالف (٢) زفر الابط (٣) ورم الموق

شيء من الفلسفة الطبيعية

« الخلاف مشهور في ان رؤية الوجه مثلاً في الصقيل هل هو بالانعكاس عنهُ او بالانطباع فيهِ . والادلة من الجانبين لا تكاد تسلم من خدش . ولجامع الكتاب دليل على انهُ بالانطباع لا بالانعكاس وهو ان التجربة شاهد برؤية المستوي في المرآة معكوساً والمعكوس مستوياً . مثلاً الكتابة ترى في المرآة معكوسة ونقش الخاتم (الذي يراد للامضاء) يرى مستوياً وهذا يعطي الانطباع كما ترسم الكتابة من ورقة على اخرى فترى معكوسة ويختم بالخاتم فيرى الختم مستوياً . ولو كان بالانعكاس لرؤي على ما هو عليهِ اذ الفرق على القول بالانعكاس هو ذلك الشيء بعينهِ الا ان الرائي يتوهم انهُ يراهُ مقابلاً كما هو المعتاد تأمل »

وكتب اللغة لا تنص على الانعكاس والانطباع والفرق بينهما فالبحث في ذلك من المباحث الجدلية العقيمة التي لا ينفع منها كبحث علماء القرون الوسطى في كم من الملائكة يستطيعون الرقص على رأس الابرة . واذا اوقف حمار بين حزمتي حشيش وكان على بعد واحد منهما فالى ايتهما يميل وقس على ذلك . والمعروف عندنا ان صورة الاشباح تنعكس عن المرآة معكوسة وتنطبع على لوحة المصوّر الفوتغرافي معكوسة مقلوبة وعليهِ سمّوا هذا اللوح بالسلبي ثم تطبع منهُ على الورق فتستوي وهي الصورة الايجابية . ومثل ذلك يحصل في العين عند الابصار فان صورة المرئيات تنطبع عليها معكوسة مقلوبة عاليها سافلها ولكنها تراها مستوية اما بحكم العادة واما لان العصب البصري يتأثر باشعة النور وباتجاهها اليهِ فيحسها في النقط التي تجمع فيها لو أخرجت على استقامتها

القروي الاديب

« قال الحجاج عند موته انهم اغفروني فانهم يقولون انك لا تغفر لي . وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة ويضبطهُ عليها وقد حكي ذلك للحسن البصري قال أوَ قالها . فقيل نعم . فقال حسبي »

والحجاج كما جاء في مقال سابق كان عامل عبد الملك بن مروان على العراق ولد بزّ اهل عصره في فصاحته وسياسته وظلمه . اما فصاحتهُ فقد قال ابو عمرو بن العلاء « ما رأيت افصح من الحسن البصري ومن الحجاج بن يوسف الثقفي » . وقال آخر ان الحجاج افصح قروي[1] سمعتهُ . واما سياستهُ فالحكايات عنها كثيرة ولا محل لها هنا فلتراجع في

(١) يراد بالقروي هنا وضيع الاصل كما ترجمة كلمة plebeian الانجليزية

اما كتبها كالعقد الفريد لابن عبد ربه والبيان والتبيين للجاحظ . واما قلمهُ فيكفي في الدلالة عليهِ قولهم انهُ كان في سجون العراق عند موتهِ نحو مئة وعشرين الف نسمة

واقل ما قالوا فيهِ قول عمر بن عبد العزيز « لو جاءت كل امة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم »

وقول الشعبي — لمن قال لهُ يزعم الناس ان الحجاج مؤمن — « مؤمن بالجبت والطاغوت[1] كافر بالله »

ويقال ان عبد الملك بن مروان قال للحجاج صف لي عيوبك . قال اعفني يا امير المؤمنين . قال لا بد ان تقول . قال انا لجرج حسود حقود . قال ما في ابليس شر من هذا »

اقول ان قول الحجاج قولهُ المذكورة آنفاً يدل على عظم إيمانهِ برحمة الله وسعة غفرانهِ والايمان باب النجاة . وهذا ما جعل عمر بن عبد العزيز يغبطهُ عليها بعد ان وصفهُ بالنفاق والحسن البصري يرجي ان يكون قالها

وقد ذكر ابن خلكان انهُ كان في مرض موتهِ يردد هذين البيتين

يارب قد حلف الاعداء واجتهدوا أيمانهم انني من ساكني النارِ
ايحلفون على عمياء ويحهمُ ما ظنهم بعظيم العفو غفّارِ

وكتب الى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبرهُ فيهِ بمرضهِ وقال في آخرهِ :

اذا ما لقيت الله عني راضياً فان سرور النفس فيما هنالكِ
فحسبي حياة الله من كل ميّتٍ وحسبي بقاء الله من كل هالكِ
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلكِ ونحن نذوق الموت من بعد ذلكِ

والظاهر ان « المستشرقين » من علماء الغرب يرون ان ما ابدى الحجاج من البراعة في القيادة والمقدرة في الحكم يشفع فيما اجترح من السيئات وفيما ركب من الظلم . فهم لذلك يميلون الى الاغماض والتجاوز عن تلك السيئات ضاربين عليها حجباً من الاعذار صفيقة كانت او خفيفة شفافة . ومنهم المستشرق الهولندي جان دي جيجي . فقد كتبهُ السيكوبيديا البريطانية قبل وفاتهِ بسنة ان يكتب لها مقالة في تاريخ الخلافة عند العرب لتنشرها في طبعتها الحادية عشرة (الاخيرة) فكتب مقالة ملأت ثلاثين صفحة . ومما جاء فيها عند ختام الكلام على الحجاج قولهُ :

---

(١) الجبت والطاغوت اسما صنمين في الاشهر

« وقلما استهدف انسان للتقربات من همز ولمز استهداف هذا الحاكم الشرقي العظيم لها. فقد كان والحق يقال رجلاً ذا اقتدار عجيب فامضى المهمة التي انتدب لها بعزم وحزم. فهو الذي خمد فتنة ابن الاشعث بحسن ثباته ورباطة جأشه فلما اعيد الامن الى نصابه ظهرت كفاءته على اتم مجاليها في كل وجهة ولّيها. فمن احياء موات الارض (في العراق) الى ترقية الزراعة بكل وسيلة وخصوصاً حفر الترع الى تنظيم الضرائب وجباية الاعشار مما كان فيه مبتكراً لا مقتبساً. واظهر حكمة فائقة في اختيار عماله وبلغ من هيبته ورهبة اسمه ان استتب النظام حتى في البادية فامن الناس فيها على ارواحهم ومتاعهم. ولا ريب ان معظم السبب في انتصاراته الحربية المتوالية شدة عنايته « بجهات » جيشه من سلاح وموْونة. ولقد كان الحجاج مسلماً صادق الاسلام ولكن هذا لم يمنعه من مهاجمة ابن الزبير وحصر مكة والايقاع بالعصاة من الشهداء وابناء الصحابيين » (نقيب)

استعمار السوريين بين العهدين

تمهيد

للسوري القديم — الفينيقي — في عالم الاستعمار والمهاجرة سفر مكتوب بماء الذهب على صفحات البحار ملؤه طلب العلاء ولو باقتحام الاخطار. وللسوري الحديث الذي ضرب في بلاد الله طولاً وعرضاً شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً سفر آخر خليق به كسابق الفينيقيين اسياد البحار. ولكن بين السفرين صفحة غير مكتوبة عن سوريي الاجيال القريبة من العهد المسيحي والاجيال الوسطى. ولدى البحث يتبيّن ان تلك الصفحة حلقة متصلة لا منفصلة في سلسلة المهاجرة التي ابتدأت بالفينيقيين وانتهت بمهاجري اليوم. وان ذلك السوري قد في هذا السبيل ما اورثهُ لهُ السلف وشرع بما ورثهُ عنهُ الخلف

ولما كان تاريخ المهاجرة السورية بين عهد الفينيقيين — وامرهم معروف — وعهدنا الحاضر الذي لا يحتاج الى تعريف نسياً منسيًّا وصفحة مطوية كان لا بد من الاكتفاء بذكر حوادث متقطعة غير متصلة عثرنا عليها هنا وهناك. وهي القليل الذي يدلّ على الكثير والتي يجب اعتبارها ازهاراً القاها الينا التاريخ من فوق حائط ليجعل ما يحيط به بخلوات خير دليل على ان هناك بستاناً كثير الرياحين

العصر السلوقي

دوّخ الاسكندر سورية عام ٣٣٢ ق.م وتولاّها بعدهُ خلفاؤهُ السلوقيون نحواً من ثلاثة قرون فتقاطرت اليها اقدام الكدونيين اليونان واسّسوا فيها مستعمراتهم ومدنهم ونشروا لغتهم وتمدّنهم. والامر الذي قلّ ينتبه لهُ الكتّاب والمؤرخون ان المهاجرة لم تكن الى سورية فقط بل منها ايضاً وان المدنية اليونانية لم تؤثر في سورية بقدر ما اثّرت المدنيّة السورية — بواسطة الوطنيين والمهاجرين — في اليونان. والحقيقة ان كثيراً من الصنّاع والتجّار السوريين نزحوا في ذلك العصر الى المراكز التجارية في بلاد اليونان وانشأوا فيها معاملهم ومصارفهم ومخازنهم. واشتهر من هذه المستعمرات السورية في القرن الثاني قبل المسيح مستعمرة في بيريس ميناء اثينا واخرى في رودس اصل سكّانها من جزيرة رواد كان لهم حاكم منهم. وكان اهمها المستعمرة السورية في جزيرة ديلوس اقام فيها المستعمرون هيكلاً عظيماً لعبادة الالاهة السورية اطارغتس (وهي افروديت اوعشتروت) ولعبادة بطلها هدد[1] ومن هذا الهيكل انتشرت عبادة هذين الالهين السوريين في بلاد اليونان. وكان للسوريين فيها طريقة دينية ذات صولة وكانت ديلوس سوقاً للاتجار بالرقيق السوري وهؤلاء الارقاء انتهت بهم الحال الى هناك اما جملة بدواعي الحروب او افراداً بسبب الدّين والافلاس او ارتكاب الجرائم. وبعضهم كان الخاسون يسرقونهم او يشترونهم من ذويهم كما يشترون سلعة من السلع. واذا تذكّرنا ان الاسكندر نقل من صور وحدها ٣٠٠٠٠ اسير وان تيطس بعدهُ بار بعة قرون اسر ٩٠٠٠٠ من سكان اورشليم هان علينا تصوّر عدد الارقاء السوريين خارج بلادهم

كثر عدد الرقيق السوري في سهول سهلية الزراعية واشتدّ عليهم ضغط اسيادهم من يونان ورومان. حتى ان المحرّك الاول والزعيم الاكبر للحروب المعروفة «بحروب الرقيق» التي طار شرارها عام ١٣٥ ق.م وتركت سهلية قاعاً صفصفاً كان شاباً من حماه اسمهُ يونُس ادّعى ان الالهة السورية المعبّد لها جعلتهُ ملكاً وامرتهُ برفع لواء الثورة والعصيان فعمد الى اثبات دعواهُ باظهار مقدرتهِ على بلع النار. كذلك ادّعى النبوّة سلڤيوس زعيم ثورة عام ١٠٣ ق.م وسمى نفسهُ تريفون Tryphon باسم احد الملوك السوريين

لم يكن الملوك السلوقيون من منشطي الدرس والادب. ولم يجد شعراء سورية وعلماؤها

(١) سمي بهذا الاسم عدد من اشخاص العهد القديم. انظر تكوين ٣٦: ٣٦ والملوك الاول ١١: ١٤

وخطباؤها من الاتباع والتلامذة والمريدين قدر ما ارادوا فنزحوا عنها وجعلوا يطوفون من مكان الى آخر في آسيا الصغرى وجزائر البحر وبلاد اليونان وايطاليا

فقد نشأ من مواليد جدّره [1] المشرفة على اليرموك (وهي اليوم خرابات ام قيس في حوران) الشاعر الانثولوجي مليغر Meleager وهو من ارومة سورية · وُلد حوالى سنة ١٣٠ ق · م واتقن الآرامية والفينيقية واليونانية ثم نزح الى جزيرة كوس حيث عكف على الدروس الفلسفية وألف كتاباً سماهُ بالاكليل "Anthologos" جمع فيهِ قصائد شاردة لستة واربعين شاعراً ممَّن سبقهُ واضاف اليها طائفةً من منظوماتهِ · وشبَّه كل شاعرٍ من اولئك الشعراء بزهرة تناسب موهبتهُ وتفادى في ذلك الى وصف نباتات سورية ومنها القصب العَطِر الذي قال عنهُ انهُ ينمو في جوار لبنان وبحر الجليل · ومن مميزات هذا الشاعر عنايتهُ بالطبيعة ووصفهُ لمحاسنها — الامر الذي تمتاز بهِ الآداب السورية · فهو واضع العلم المعروف بعلم الانثولوجيا

وكان من معاصريهِ بوسيدونيُس Posidonius الفيلسوف الرواقي والمؤرخ الذي درس عليهِ جماعة من علماء الرومان ومهَّد السبيل للعصر الاوغسطي الذهبي · وُلد هذا الفيلسوف في حماه عام ١٣٥ ق · م وبعد ان تخرَّج في مدارس اثينا جال في اوربا يدرس التاريخ والجغرافية والفلسفة وترأس اخيراً المدرسة الرواقية في رودس حيث درس عليهِ شيشرون الخطيب · وكان شيشرون قبل ذلك تلميذاً لانطيوخوس العسقلاني رئيس احدى مدارس اثينا · ومن المشاهير الذين قصدوا بوسيدونيُس لزيارتهِ القائد بومبيوس العاتي الروماني زارهُ في رودس مرتين

ومن مهاجري حماه النابغين الطبيب أرخيجنس Archigenes اشار اليهِ المؤرخ جوڤينال مراراً في عداد عارمي الطب في رومية وميزهُ بانهُ كان من الاخصائيين بالامراض العقلية · ومن مؤلفاتهِ كتاب في « النبض » شرحهُ جالينوس

ثم اشتهر الشاعر ارخياس الذي وُلد عام ١٠٠ ق · م في انطاكية فانهُ تقرَّب من كثير من اشراف الرومان واخصهم أسرة لكُلس العريقة في النسب · ثم هاجر الى البزانطية (القسطنطينية) حيث عُرف بالمقدرة على الخطابة ارتجالاً · ونافس لذلك معاصرهُ أنتيباتر Antipater الصيداوي الذي هجر بلادهُ — شأن اكثر مواطنيهِ النابغين — وجال في

(١) "Mission de Phénicie" Renan صفحة ٧٨٢

ايطاليا فجاءت اشعاره مثالاً يحتذى من عقبة من شعراء اليونان والرومان واشهرهم كاتولس Catulus

وممّن نبغ من السوريين في اوائل القرن الاول قبل المسيح الفيلسوف الابيقوري[1] النحوي اندرونيخس Andronichus الذي اسّس مدرسة في رومية ثم نقلها الى كومي . وكان من معاصريه بيليوس سيروس (اي السوري) واصله من انطاكية . جيء به الى رومية رقيقاً فحرّره مولاه لما رآه فيه من دلائل النجابة والفكاهة وسرعة الخاطر . فالّف روايات وجيزة وجال من مكان الى آخر يمثلها بنفسه . وفي الالعاب التي اقامها يوليس قيصر عام ٤٥ ق . م جرت منافسة امامه بين الممثلين فنال هذا الشاب السوري الجائزة الاولى وحرمها لابيريُس اعظم ممثلي رومية . وبقيت روايات بيليوس تمثّل قرناً كاملاً بعد موته ومنها ما وقع عليه الاختيار للتدريس في المدارس .

العصر الروماني

الارقاء . اكتسح بمبيوس سورية عام ٦٣ — ٦٤ ق . م وعملاً بخطة تلك الايام نقل الرومان آلافاً من السوريين الى ايطاليا وولاياتها . وفي القرن الثاني بعد المسيح اخذ التجار يستوردون الارقاء من سورية ويبيعونهم في المدن البحرية بالمزاد العلني فتشتّتوا في انحاء ايطاليا يجرثون اراضي فقدت سكانها بدواعي الحروب ويخدمون في بيوت الاشراف والمتموّلين ويسوقون المركبات ويحملون محفات مواليهم الى غير ذلك من الاعمال التي ذكرها المؤرخ الروماني جوفينال[2] . وانصرف بعضهم الى معاطاة السحر والتكهّن وفن الصراع والعزف على آلات الطرب . واستخدم غيرهم كتّاباً وعشّارين في دوائر الحكومة ووكلاء على مزارع الاغنياء . كثر عدد الرقيق السوري حتى في طرَنس كان القوم يدعون كل رقيق يجهلون اسمهُ « سيروس » (Syrus اي سوري) وازداد نفوذ الرقيق السوري واشتهر بالمهارة[3] فحرّر اكثرهُ واندمج في سكان البلاد التي حرّروا فيها فكان ذلك مثلبة جيش المهاجرين السوريين مع ان هجرتهم كانت الزامية

الجنود . بعد ان دخلت سورية في حوزة الرومان جعل الامبراطرة يجنّدون اهلها وينقلونهم الى ايطاليا واطراف المملكة فرساناً ورماة . فالفرقة الاوغسطية الثالثة

(١) من اتباع ابقيورس واهم تعاليم ابقيورس ان غاية الانسان انما هي التمتع بالذات والمسرّات (٢) جوفينال . مجلد ٦ صفحة ٣٥١ (٣) لفي . ج ٣٩ ص ٦

(Le G. III Augusta) التي اقامت في نوميديا (تونس) كان قوامها من شبان دمشق وحماه وطرابلس وبيروت وصور وصيداء. كذلك كانت الفرقة التراجانية الثانية التي اقامت في الاسكندرية. ولما انتخب اسبسيانس عام ٦٩ ب. م امبراطوراً نقل فرقته السورية معهُ الى رومية. ومنذ ذلك الحين اصبحت جنود الفرق كلها من الولايات الا ان الرومانيين كان يجوز لهم التطوُّع في فرقة الفرسان. ولما انت الفرقة الغالية (من فرنسا) لنصرة هذا الامبراطور كانت جنودها تحيي الشمس لدن شروقها «وهي عادة السوريين» على ما لاحظهُ المؤرخ تاشِطُس[1] Tacitus. والجيش الذي جرَّدهُ اسكندر سڤيرس (٢٢٢ — ٢٣٥ ب. م) على المانيا كان معظمهُ من المشارقة. ولما اخضع تراجانس داشيا (رومانيا) نقل اليها شعوباً من أدَسَّا (الرها. اورفه) وتدمر[2]. وجاء في التاريخ ان سرية عددها الف من رماة حمص انتدبها احد القياصرة للاقامة في پانونيا وأخرى من رماة دمشق في المانيا العليا وغيرها من تدمر في بلاد المغرب. فكتب رجال هذه السرايا كتابات كثيرة بقي معظمها الى الآن وهي تدل على غيرتهم الدينية واحتفاظهم الشديد بدين آبائهم. ففي شمالي انكلترا قرب سور هدريانس وُجد شعر نظمهُ ضابط في مدح إلاهته السورية. وآخر قرب تيوكاسل حيث في الراجح اقامت السرية الصورية. ولدى انتهاء الخدمة العسكرية كان بعض رجالها يعود الى بلادهِ وبعضهم يستقر حيث كان فينشر معتقدات بلادهِ وطُرق تفكيرها. ولقد عثر احد النقابين على نصب في جنوبي فلسطين على تخوم بلاد العرب اقامهُ رجل تذكاراً لامرأتهِ التي كان تزوَّج بها في رومان بفرنسا ورافقتهُ عند رجوعهِ الى بلادهِ وقال انها ماتت بعيدة عن وطنها[3]. واكثر هذه الكتابات بالسريانية واليونانية اما اللاتينية فهي وان كانت يومئذٍ لغة سورية الرسمية فلم يتكلم بها سوى الهيئة الحاكمة وقليل من الضباط والتجار. والظاهر انهُ لم يكن من وسائط لدرس اللاتينية سوى مدرسة الشريعة في بيروت التي نشأت في القرن الاول بعد المسيح وازدهرت في القرن الثالث.

التجار. لم يكن الامن مستتبًّا في زمن الجمهورية الرومانية ولكن لما انقرض القرصان من بحر الروم على عهد الامبراطورية الرومانية كثر التجار السوريون "Syri Negotiatores" في المراكز التجارية والمدن البحرية من الولايات اللاتينية وكان عددهم يزداد سنويًّا باعتناق

(١) تاشطس ج ٢ ص ٢٤ (٢) يوتروپيوس ٨ : ٦

(٣) Revue Archéologique سنة ١٩٠١ ج ٢ ص ٣٧٥

الاذكياء النشيطين من الارقاء السوريين وانتهاء خدمة الجنود منهم فشادوا المستعمرات على شواطئ ايطاليا وغاليا (فرنسا) واسبانيا كما شادها قبلهم اسلافهم الفينيقيون والقرطجنيون ولم تزل آثارهم في نابولس (نابولي) وروميه وبالرمو وسيراكيوس (من اعمال صقلية) وترڤيري (في فرنسا) وتركو Tarraco (في اسبانيا) قائمة اليوم. ولقد اكتشف حديثاً في مالقه Malaga (من اعمال اسبانيا) كتابة تثبت وجود شركة سورية مساهمة فيها. واخرى في لبنان معنونة باسم تجارة في آرلس Arles (في فرنسا) يتعاطون شحن الحبوب. وعثر احدهم على تحرير يرقى عهده الى القرن الثالث كتبهُ رجل اسمهُ ثيم بن سعد احد وجهاء بلدة القنوات (١) وصاحب معامل على ضفة الرون في فرنسا. وكان في پُتيولي Puteoli مستعمرة سورية غنية لم تزل آثار مبانيها الفخمة قائمة اليوم. ومن آثارها كتاب كتبهُ اهلها في القرن الثاني الى مدينة صور جاء فيهِ ان عددهم قلّ الى درجة يصعب عليهم معها القيام بفروضهم الدينية علناً واستئجار المنتدى الذي كانت نفقاتهُ ٢٥٠ ديناراً في السنة. ويظهر ان بعض سكان هذه المستعمرة كانوا عرباً فقد جاء في كتابة ان احدهم قدّم جملين من ذهب نذراً لالهه العربي. وكان في أُستيا ميناء رومية مستعمرة سورية بقي منها اليوم آثار هيكل لمرنس Marnas اله المطر وشفيع مدينة غزة

ولم يكتفِ هؤلاء المستعمرون بالاماكن السهلة المنال ولكنهم اجابةً لدافع اخلاقهم القومية الموروثة وهي الاستهزاء بالاخطار والطموح الى المعالي توغلوا في داخلية اوربا عن طريق الانهر المعروفة. فساروا على ضفاف الدانوب حتى ابولُم في داشيا وعلى ضفاف الرون حتى ليون وعلى ضفاف الجيرند Gironde الى بوردو. وكان نصيب غاليا (فرنسا) منهم عظيماً. ولم يقف المهاجرون عند هذا الحدّ بل تطوّحوا في الوهاد وبين الجبال الى القرى الصغيرة والمدن غير العامرة حيث المزاحمة التجارية على اخفها. وقد حفظت لنا جنيڤا (في سويسرا) ولاباتي ولوسي وغيرها من مدن الداخلية الصغيرة كتابات وهياكل وتماثيل لمثرا Mithra الاله الايراني الاصل والذي نشر عبادتهُ الرحّالون السوريون. فلا مبالغة اذاً قلنا ان مستعمراتهم كانت يومئذٍ ترصّع خارطة اوربا كما ترصع النجوم قبة السماء

ولمّا طمى جيش البربرية على شمال اوربا واغرق المدنية الرومانية في اواخر القرن الخامس وما بعد كانت هذه المستعمرات مناثر للعلم والتمدن. حتى ان امواج الغزوات المتتابعة لم تكن

(١) باللاتينية «كنتا». ذكرها بيوسفوس. قابل فقاة في سفر العدد ٣٢: ٤٢ وقنوات في دليل فلسطين وسوريا لبديكر

على شدتها وضخامتها لتطفئ مصباح هؤلاء المهاجرين او لتفتّ من عضدهم فانهم تحت حكم الدولة المروفنجية كانوا لم يزالوا يتكلمون لغتهم السامية ولما دخل كنتران مدينة اورليان عام ٥٨٥ ب. م استقبلهُ وفد يترنم بمدحه « بلسان اللاتين واليهود والسوريين » على ما ذكر المؤرخ غريغوري ده تور[1]. والظاهر ان مستعمرة باريس كانت اهم هذه المستعمرات واشدها ساعداً يدلك على ذلك انها عام ٥٩١ ب. م كان لها من السطوة ما مكّنها من ان تسم احد ابنائها اسقفاً عاماً على عاصمة الافرنسيس وتستولي على عدد كبير من المناصب الاكليريكية[2]

وانكباب هؤلاء المهاجرين هذا على العمل واقتحامهم الاخطار حدا بالقديس لروفيوس الذي مات في اوائل القرن الخامس الى كتابة كلماته المأثورة وهي ان رغبة السوري في الاعمال التجارية التي من ورائها ربح تحملهُ الى اقاصي المعمور

وما زال سيل مهاجرة السوريين يتعاظم الى ان قضى العرب في القرنين السابع والثامن على الملاحة في البحر المتوسط وسدوا سبل التجارة البحرية

وقد شيّد المستعمرون السوريون المصارف « البنوك » واقاموا المكاتب للعمولة والسمسرة وشحن البضائع واسسوا المحلات التجارية بل احتكروا تجارة الشرق باسرها. وكانوا يستوردون البضائع الشرقية وهي الخمر والزيوت من لبنان ووادي العاصي وغزة والزجاج واللؤلؤ والارجوان من صور وعبداء والحرير والصوف من مدن فلسطين والبضائع الكتانية والمصنوعات المعدنية من بيروت وجبيل والاثمار المتعددة من دمشق . وفي اوائل العهد الروماني كانت تجارة اوربا مع الشرق الاقصى عن طريق البحر الاحمر فالاسكندرية برًّا ومنها الى المدن الاوربية البحرية . اما بعد ان دخلت بلاد العرب في القرن الثاني تحت السلطة الرومانية وبعد ان مهّد تراجنس وخلفاؤهُ الطرق التجارية في سورية اخذت البضائع من بلاد فارس والهند والصين ترد عن طريق خليج العجم فدجلة والفرات ثم برًّا الى مدن سورية البحرية فاصبحت تلك المدن مستودعاً لاوربا تشحن منها الطيوب من شبه جزيرة العرب والجواهر والعاج من الهند والتحف والاقمشة من بلاد فارس . وفي عهد يستنيانوس أدخل دود القزّ وشجر التوت الى سورية فاستغنى بذلك عن حرير الصين واليابان. وعلى الجملة فقول حزقيال عن تجارة صور في عهده يصح على سورية في هذا العهد كما صح عليها في عهده

(١) غريغوري ده تور ٨ : ١ (٢) غريغوري ده تور ٧ : ٣٩

ولم يكن المستعمرون كلهم تجاراً وعملاء بل كان بينهم كثيرون من اصحاب الفنادق والموسيقيين والنقاشين وغيرهم من الصنّاع لاسيما من عملة الزجاج والصبّاغين . وقد عدد ڤيرس الامبراطور الخليع من حروبه في پارثيا (ارمينيا وما جاورها) عرّج على اللاذقية واخذ منها جيشاً من الموسيقيين والممثلين والملازمين الذين كان لهم في ذوق البلاد الايطالية تأثير يُذكر

الكهنة . وكان بين المهاجرين السوريين رهط من الكهنة والسحرة والعرّافات والمتنبين والمتنبيات والمشعوذين يخدمون الهياكل في المدن التي كان فيها من المستعمرين عدد كافٍ لاقامة الهياكل ويجولون في الاقاليم الزراعية التي لم يكن فيها العدد الكافي منهم لتشييد المذابح اكراماً لآلهة آبائهم واجدادهم . والظاهر انهُ نشأ بين هؤلاء الكهنة المتجولين طغمة كانت تنتقل من مكان الى آخر وتجمع من المؤمنين النذور والعشور باسم الإلاهة السورية وتقاسم الارقاء حصصهم . ومما جاء في وصف رئيس لهذه الطغمة يدعى فليبس Philebus انهُ كان شيخاً ابيض الشعر يسير واتباعهُ من قرية الى اخرى وراء دابة عليها تمثال الإلاهة السورية يغشاها الحرير . وهم يرقصون على الصنوج ويضربون على الدفوف والطبول ويرقصون بالنفوس والسكاكين . وكانت وجوههم مدهونة ورؤوسهم ملفوفة بالعمائم . وشاحهم من الحرير وفي ارجلهم احذية صفراء وقد يخلدون انفسهم ويجرحون ابدانهم علانية من باب التوبة والتقشف . وفي اواخر الجمهورية الرومانية كان للعرّافات السوريات شأن رفيع في رومية . ولقد روى فلوطرخس ان مستشار ماريوس القائد الروماني الكبير كان عرّافة سورية اسمها مرثا لم يقدم ماريوس على عمل حربي الاّ بعد الاطلاع على رأيها [1]

تأثيرهم

بهذه الطرق الاربع — الرقيق والجندي والتاجر والكاهن — وجد التمدن السوري سبيلاً الى الشعب الروماني ونفخ فيهِ روحاً جديدة سياسيّة وفلسفيّة وعلميّة وادبيّة وفنيّة ودينيّة اشترك فيهِ الرجال والنساء كما سيجيء

جامعة كولمبيا بنيويورك فيليب حتي

(١) حياة ماريوس لفلوطرخس صفحة ١٧

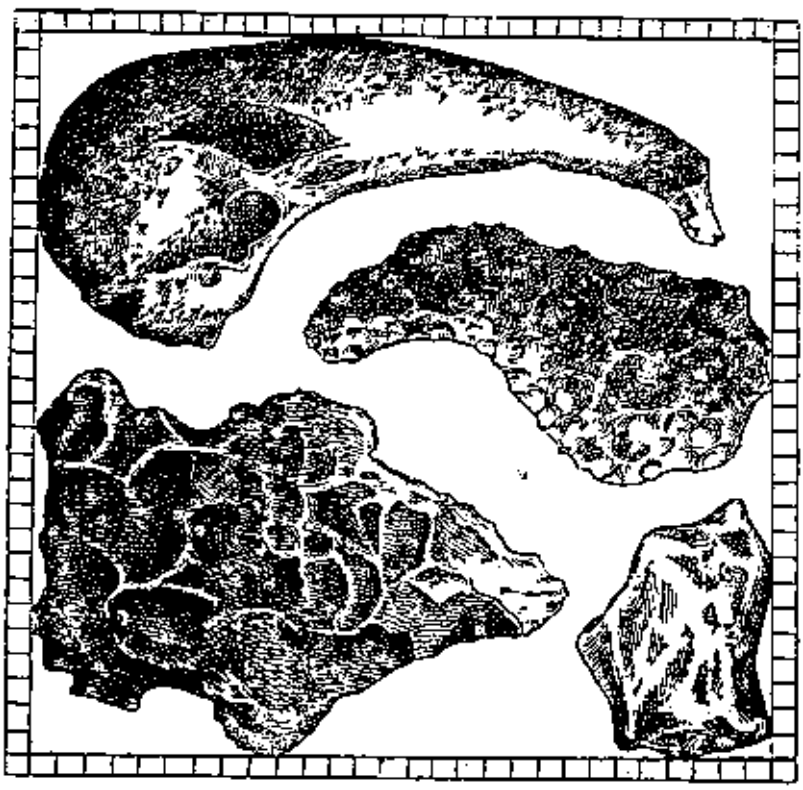

بعض اشكال الرجوم

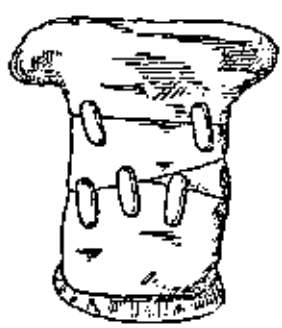

يكون امرأة

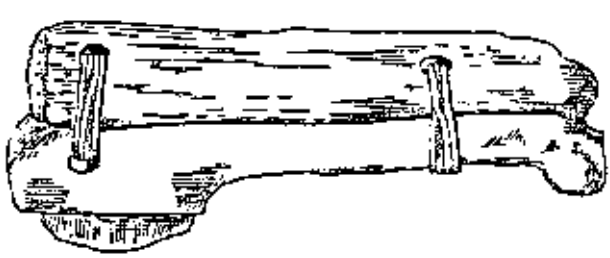

يكون رجل

مقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٤٥

الرجوم

او الحجارة النيزكية (١)

الرجوم او النيازك كما نعرفها وكما تنصل الارض من الفضاء على ثلاثة انواع الاول ما يسمّى سيدريت وهو مؤلف من حديد نكلي . والثاني اروليت وهو من مادة حجرية في الاكثر . والثالث سيدروليت وهو مؤلف من الاثنين معاً

وقد اختلف علماء الآثار رأياً في مصدر الحديد الذي كان الانسان يستعملهُ قبل التاريخ اي قبلما عرف كيف يستخرج الحديد من معدنهِ . على ان الاكثرين يرون ان الانسان لم يعرف الحديد النيزكي اي حديد الرجوم بانين حكمهم هذا على اربعة اسباب الاول ان جميع العدد والادوات الحديدية التي وجدت من بقايا الانسان في العالم القديم في كلها تقريباً من مصدر ارضي وفي جملتها القطعة التي وجدت في هرم الجيزة الاكبر . والثاني اعتقاد الانسان القديم بان الحديد النيزكي غير قابل للطرق والسبك . والثالث انهُ شديد الندرة . والرابع ان الانسان القديم لم يكن يستطيع بما لديهِ من الوسائل ان يقتطع قطعاً صغيرة من الحجارة النيزكية . وسنبين فساد هذه الاسباب او الحجج ولكننا قبل ذلك نقول

لاخلاف في ان ادوات الحديد كانت في العصور الاولى اندر من النادر بل اندر من حلى الذهب وربما كانت اثمن منها . فان كان الامر كذلك فليسَ لم يحرص الانسان الاول عليها ويُعنَ باذخارها عنايتهُ باذخار الذهب . فقد ترك لنا فيما ترك كثيراً من الحلى الذهبية التي تزيّن بها صدور متاحفنا في حين انهُ لم يترك اداة مصنوعة من الرجوم . وسبب ذلك ان قيمة هذه الرجوم متوقفة على سبكها واستعمالها عدداً واسلحة وادوات مختلفة فاذخارها وحفظها يبطلان قيمتها . وهذا يبطل الحجة الاولى ومما يذكر في هذا الصدد ان الادوات المصنوعة من الحديد النيزكي ليست نادرة في العالم الجديد (اميركا) ندرتها في العالم القديم وسبب ذلك ان الانسان في العالم القديم استخرج الحديد من معادنهِ منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة فلم يدخل هذا الحديد العالم الجديد الا بعد اكتشافهِ منذ نحو اربع مئة سنة . وظاهر ان الاشياء التي عمرها اكثر من ثلاثة آلاف سنة في أندر في أيامنا من الاشياء التي لم يقم قائمها غيرها الا منذ اربع مئة سنة

(١) ملخص من مقالة في مجلة ناتشر الانكليزية

وقد وضع بعضهم جدولاً بالرجوم المعروفة فاذا هي لا يزيد ثقلها كلها على ٢٥٠ طناً منها ٩٩ في المئة معدن قابل التطريق لانهُ مزيج من الحديد والنكل وهذا يبطل الحجة الثانية . ثم انها وجدت كلها في القرن الماضي وهذا يبطل الحجة الثالثة القائلة بان الحديد النيزكي شديد الندرة

ويدلُّ منظر هذه الرجوم على انها كثيرٌ من حجارة اكبر منها كما يرى في الشكل الاول اي انها ليست كقطرات المدافع وحجارة مثل هذه يسهل نطع شظايا منها حتى على من ليس عندهُ ادوات وآلات تذكر كما كان الانسان الاوّل . وهذا يبطل الحجة الرابعة . فقد كان القدماء يكسرون الرجوم كما كانوا يكسرون قطع النحاس التي وجدت على شطوط البحيرة العليا في اميركا الشمالية ولكن مادة الرجوم اصلب من مادة النحاس كما لا يخفى . ومعلوم انهُ لما اكل الاسبان فحم الكسبك وجدوا عند الاهالي الاصليين سكاكين وخناجر وادوات اخرى مصنوعة من الحديد . فحار الاسبان في مصدر ذلك الحديد . وكانوا اذا سألوا الاهلين يشيرون بايديهم الى السماء كانهم يقولون انهُ هبط عليهم منها . ولكننا نحن نعلم الآن مصدرها ونعلم ان اهل المكسيك صادقون في اشارتهم لان حديدهم من حجارة الرجوم وكذلك صنع الاسكيمو وبعض قبائل الهنود وشرق سيبيريا اسلحة وادوات من الرجوم

والرجوم المشهورة كثيرة هبطت من الجوّ الى الارض آتاً بعد آنٍ منذ قديم الزمان . ومن اشهرها رجم سقط سنة ٤٠٣ قبل المسيح في عهد بندار الشاعر اليوناني . وآخر قيل انهُ سقط قبل حصار تروادة في عهد الملك ايتيوكليس . وذكر بلينيوس عدة رجوم وعدَّ ليفيوس المؤرخ ٣١ منها سقطت في ٥١ سنة من عمره

وترى في الشكل الثاني سكينين من سكاكين الاسكيمو القدماء نحتا من رجم سقط قديماً ثم اكتشفهُ الاميرال بيري في خليج ملفيل عند اكتشافهِ للقطب الشمالي . فالسكين منهما سكين المرأة واسمها عندهم « اودو » وقبضها من العاج والسفلى سكين رجل واسمها عندهم « سانك » طولها اربع بوصات وقبضها مصنوع من الخشب والعظم

ويقال بالاختصار ان الانسان كان يستعمل الحديد قبل سنة ١٢٠٠ قبل المسيح وكان يستخرجهُ من الرجوم او البراكين او بقايا الحرائق او الصواعق او الحديد الممزوج بالنيكل وهو معدن ابيض لونهُ بين الفضة والقصدير

الدود المعوي

قلما يخطر في بال احد ان الدودة الاسطوانية الحمراء التي تظهر احياناً في البراز تعرّض المصاب بها الى مرض شديد الخطر على حياته . ولا عجب فان الآراء حتى النصف الاخير من القرن التاسع عشر انقسمت الى شطرين من حيث انها تسبب للمصاب بها داء الانسداد المعوي اذا اهمل شأنها وتركت بلا مقاومة . وكان في طليعة الفريق المخالف الاستاذان لايكانستر Leichenstern وتريفز Treves فقد ذكرا انها تورث هذا الداء او مضاعفاته وملحقاته وكان من الفريق المسلّم بانها تسد الامعاء في ظروف ملائمة وان تكن قليلة الاساتذة تروسو Trousseau وبريتونو Bretonneau وشتس Stntz وهم اول من اطلعوا عنها واذاعوا فعلها

وفي سنة ١٨٨٧ ظهر تقرير لبوردروني Bordoroni وستب Stepp عن اصابتين بداء الانسداد المعوي اثبت الفحص التشريحي ان سببهما الدودة الاسطوانية لا غيرها

وكان سيمن Simon يشرّح سنة ١٨٩٢ ميتاً مات باعراض الانسداد فوجد كتلة من الدود وقد احتبك الدود فيها واشتد تماسكه فسدت القناة الهضمية سداً محكماً

وجاء في تقرير بتوف Botoff ١٨٩٧ ذكر حادثة بالانسداد ومضاعفاته كثقب الجدار المعوي والتهاب البريتون وقد اثبت الفحص التشريحي وجود ٥٠٠ دودة في المعى اللفائفي في الجزء الذي ينتهي بالاعور . ثم ورد في تقرير زتوف Zotoff عن موسلر Mosler وبيبر Peiper ذكر حادثة فتاة عمرها ثلاث سنين ماتت باعراض هذا الداء وبالتهاب البريتون . وقد وجد ثقبان في جدار المعى اللفائفي يبعدان عن الاعور ١٧ ½ البوصة ويبرز من الثقب الواحد ٣٥ دودة ووجد القولون الصاعد والقولون المعترض ممتلئين دوداً وعدّ نحو ٥٠٠ منه

وذكر فن ميتر Von Meter اصابة ولد عمره ثلاث سنين و بضعة اشهر بالانسداد وقد اجرى له عملية جراحية في المعى اللفائفي اخرج منه كتلة كبيرة من الدود فشفي الولد . ودعي فيكاري Vichery لعيادة حامل فوجدها مصابة باعراض لا تختلف عن اعراض هذا الداء فوصف لها سنترين واعقبه بجرعة من زيت الخروع وكانت النتيجة ان الامرأة نجت وزالت الاعراض التي كانت بادية عليها بسبب العلاج المتقدم ونفيأت اثنتي عشرة دودة من النوع الاسطواني وستاً من النوع الخيطي ولكنها اجهضت في اليوم التالي . واحصى فنينغ Venning ٢٧٣ دودة اخرجها من المعى اللفائفي والاعور والصائم في حادثة ولد عمره سنتان ونصف

ونشر بارت Perret رسالة في المجلة الطبية الاميركية عن حادثة عالجها وشيفت عن يدهِ من غير عملية جراحية وخلاصتها ان فتاة عمرها ٨ سنين دخلت الى المستشفى في مساء ١٤ مارس سنة ١٩١٦ باعراض الانسداد المعوي مثل قيء وانتفاخ وتطبل في البطن وجس كتلة قاسية بحجم برتقالة كبيرة في الجزء السفلي البطني لناحية اليسار وكان قد مضى على المريضة خمسة ايام وعالجها في منزل والديها الطبيب العائلة بلا جدوى . ولما يئس من شفائها احضرها الى المستشفى وتولى علاجها الطبيب المذكور . وفي مساء ١٥ مارس اي في اليوم التالي لدخولها المستشفى وصف لها حقنة شرجية وبعد نصف ساعة زال الخطر عن الفتاة وشعرت براحة عما كانت تقاسيهِ اذ أُخرجت كتلة مؤلفة من اربعين دودة كما ترى في الشكل الاول

وهذه الحادثة ذكرتنا بفتاة من الجيزة عمرها ست سنين احضرتها امها للعيادة في شهر يونيو من السنة الفائتة للتداوي وقصَّت علينا ما كانت تشكو منهُ ابنتها وتشاهدهُ في براز ها من الدود الربيع الخيطي فوصفنا لها سنتونين وكلومال وفي اليوم التالي حضرت الام ومعها علبة فيها بضع عشرة دودة من النوع الاسطواني الاحمر وقالت وهي مدهوشة ان ابنتها تقيأت ست دودات في مساء اليوم الذي حضرت فيهِ الى عيادتنا وفي اليوم التالي شاهدت في برازها سبع عشرة دودة وضعتها في العلبة وجاءت بها لاصدق روايتها

فيظهر مما تقدم ان هذه الدودة تقيم في المعي الدقيق وتشاهد في الاولاد من الثالثة الى العاشرة . وطول الدودة خمس بوصات الى عشر والانثى اطول من الذكر وشكل البيضة بيضوي وقطر ازاحدة جزء من اربعمائة من البوصة . وهذا الدود يدخل الجسم من الفم مع الماء والخضر والفاكهة ولا سيما اذا كانت غير نظيفة . والغريب في هذه الدودة انها لا يطيب لها الاقامة وحدها فاذا لم تجد لها رفيقاً يؤانسها هجرت محل اقامتها الى المعدة فتخرج مع القيء او تظهر احياناً بارزة من الانف او الاذن . وليس ببعيد ان تدخل القناة الصفراوية وتسبب داء اليرقان او تدخل الكبد من القناة الصفراوية الصغيرة فتحدث في الكبد خراجات كبدية . وقد وجدت في البنكرياس والزائدة الدودية والوريد الحجابي وتكون احياناً سبب الناسور السري . اما الاعراض التي تدل على وجودها في الجسم في حال عدم ظهورها في البراز فنغص محبوب بتطبل في البطن وسوء هضم وفقدان شهية الاكل واضطراب في حالي اليقظة والنوم والميل الى حك الانف من الداخل والجرش بالاسنان في حالة النوم . وعلاجها السنتونين والوفاية افضل منهُ في كل حال

الدكتور شخاشيري

الدود المعوي الاسطواني الاحمر

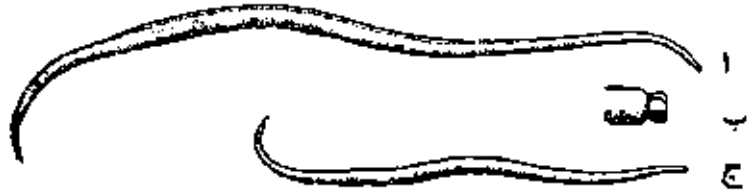

(ا) انثى (ب) رأسها (ج) ذكر

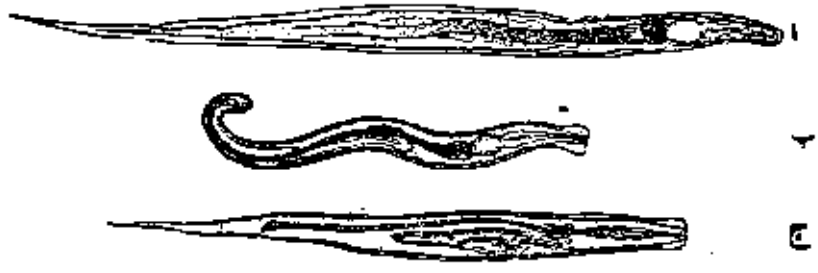

(ا) انثى (ب) انثى غير بالغة (ج) ذكر

المقتطف يونيو ١٩١٧
امام الصفحة ٥٤٨

القدرية والجبرية

المسؤولية

طبيعة فكرتها وكيفية تكونها في النفس

(٤)

اذا كان الاجتماع هو المكوّن الاول لفكرة المسؤولية وكانت جرثومتها لا يقوم بناؤها الاّ كما توجههُ وحدات الاجتماع الانسانية فهل هذه الجرثومة هي هي بعينها في كل النفوس. فاذا انت وضعت شخصين في وسط اجتماعي واحد وعرضت عليهما صوراً واحدة كانت لكلٍّ فكرة المسؤولية وكيفها وانجاهها واحداً . وبكلمة اخرى هل فكرة المسؤولية امر اجتماعي بحت يتأثر بهِ الفرد من غير ان يكون لتكوينهِ هو الخاص اثر فيهِ . لقد سبق لنا فيما كتبنا عن الاختيار والاضطرار ان اظهرنا ان هناك عوامل كثيرة تعمل في تكوين حياة الفرد الخاصة كالوراثة وطوارئ الحوادث ونوع التربية وبيّنا حينذاك ان الفرد وان لم يكن لهُ وجود خاص وانما هو ذرة تصرّفها حياة العالم وهي تسير مكرهة في الطريق الذي يرسم لها . فان في هذه العوالم الخاصة ما يكفي لتفرقة بين الافراد في الوجهات التي توجّههم اليها الحياة . هذه العوامل نفسها واخصها الوراثة والطوارئ، واحداث الصدف ونوع التربية هي التي تجعل اصورة الحياة الاجتماعية في نفس الفرد لوناً خاصًّا وتجعلهُ يتصور المسؤولية على نحو خاص . صحيح ان مجموع الوحدات الانسانية هو الذي يرسم الطريق الذي تتبعهُ هذه العوامل ولكن هذه العوامل قد تبلغ من نفوس بعض الافراد احياناً فتطمس على الطريق وتأخذ صاحبها الى وجهة اخرى تجعلهُ اما مجرمًا اثيمًا او شاعراً كبيراً او نبيًّا كريمًا . وفي الاحايين الاخرى والغالبة لا تصل الى هذا ولكنها تجعل دائمًا شيئاً من التضارب يقوم بين الوحدات الانسانية او البعض منها وبين الفرد . وهذا التضارب هو ما يدفع بهِ الى ما يسميهِ الناس الخطيئة . والشخص الذي تنطبق نفسهُ تمام الانطباق على الوسط الذي يعيش فيهِ هو الشخص الذي اتبعت وراثتهُ مجرى تطور الانسانية فلم تزد اطاعتهُ على ما يريد الاجتماع ان يحبوهُ اياهُ ولم يشعر بثقل حمل الواجبات التي يضعها الاجتماع على عاتقهِ

وهذا النوع الاخير من الافراد نادر جدًّا ان لم نقل معدوم كلية . وكأن ذلك الخيال القديم الباقي خيال آدم وهو خارج على الوسط الذي عاش فيهِ مرتكب تلك الخطيئة

التي اخرجته وابناءه من الجنة هو هو صورة كل واحد من بني آدم . وانما يجب ان نلاحظ ايضاً ان العوامل التي تؤثر في نفس الفرد لا تصل الى ملاشاة صورة الجمعية من نفسه الاَّ في احيان نادرة . فالمجرمون بالخلق والخائنين العظماء قلائل في العالم جدًّا . واما ما عدا هؤلاء من الافراد الذين يكوّنون سواد الانسانية فهم مرآة لصورة الجمعية التي يعيشون فيها . وعلى مقدار دنتهم او عدم دقتهم في تلقي هذه الصورة يكون تكوُّن فكرة المسؤولية في نفوسهم . وهؤلاء الاشخاص الذين لم يصلوا بالتربية ليفكروا لانفسهم ولم تخرجهم عوامل خاصة كالوراثة والصدف عن طريق الحياة المعتاد تنطبع في نفسهم صورة الجمعية التي يعيشون فيها انطباعًا يكاد يكون تامًّا ولذلك تقوم المسؤولية في نفوسهم وحدةً متماسكةً مرتبطةً اتم الارتباط بالصورة المذكورة . من هذا ما نلحظ من ان بعض القبائل المتوحشة يبلغ الندم على الخطيئة من نفوس بعض افرادها حتى لتراه ناتجًا منتجًا مهما قلَّت قيمة الخطيئة التي ارتكبها . وكأن هذا الفرد يشعر بانهُ جزء متضامن مع الكل الذي هو الجمعية . ومن امثلة ذلك ان بعض قبائل استراليا تحرم على الشبان منها اكل نوع خاص من انواع الصيد النادرة التي يحتفظ بها لتقدَّم للرجال والكهول تكريمًا واعزازاً . وبلغ من شأن ذلك التحريم ان من يتعداهُ يجازى بالقتل . ولقد شوهد من بين الشبان الذين انتهكوا حرمة ذلك القانون ولو تحت اثر الجوع من يقدمون انفسهم معترفين بذنبهم مظهرين اشد الندم عليهِ . وهذا الاعتبار للفرد كوحدة اجتماعية لا وجود لها بذاتها هو الذي سمح لقبائل العرب ولقبائل استراليا ان يجيزوا جريمة واحد من قبيلة اخرى تقع على قبيلتهم مستوجبة مسؤولية كل فرد من افراد تلك القبيلة الاخرى حتى لتهدأ ثائرة الانتقام في نفس من وقعت عليهِ الجريمة متى قتل اي فرد من افراد قبيلة واتره . وقد استمرت هذه الفكرة فكرة تضامن الفرد في المسؤولية مع الجماعة التي هو منها تتسلسل على العصور الى ما بعد المسيحية . وانا لنقرأ في هرودوتس ان التاريخ يقص الملك كريسس (قارون) الذي ذهب يشكو الى الاله ابولون ما لاقى من هزيمة ودمار في موقعة سرديس بعد ان قاضى على هذا الاله من تحف وقرابين فيجيبهُ رسول ابولون بما يأتي : محال ان تنجو حتى الآلهة مما قدر لها . ويجب ان يذكر كريسس انهُ انما لاقى جزاء خطيئة جده الخامس الذي كان فارسًا في حرس كاندول احد ابناء الهرقلة ثم ترك نفسهُ تتسلط عليها امرأة تدفعهُ آخر الامر لقتل سيده الملك واغتصاب تاج لم يكن لهُ . ولقد جاهد ابولون رجاء ارجاء مصيبة سرديس حتى نقع على رأس اخلاف كريسس ولا تصيب ايام فلم يُقبَل رجاؤهُ ولا استطاع اخلاف القدر

وكل ما وصل اليه ان امتد خراب سردس لستين ثلاث متتالية . وانما نال ذلك كره احكام المقادير » . وهنالك يعترف كريسس ان الذنب ذنبهُ الموروث لا ذنب الاله

ومن ذلك كله يرى ان الفرد العادي يعتبر نفسهُ ذرة مماثلة لكل ذرات الجمعية الاخرى ويشعر في اعماق نفسهِ انهُ متضامن تضامناً تاماً مع ماتيك الذرات حتى ليسأل هو عن التكفير عما يقع منها . وليس شيء ابلغ من ذلك في الدلالة على ان الجمعية تطبع الافراد بطابعها وتعدم شخصيتهم لتقيم في قرارة قلوبهم شخصيتها وتجعلهم بذلك يسيرون على السنن التي تسنها هي لهم من غير ان يكون لهم في تلك السنن اي اختيار

ولكن الوف القرون التي مرت بالانسانية لم تترك فرداً من افرادها من غير ان تخلق لهُ ظروفاً خاصة تكوّن في نفسهِ شيئاً من الفردية الواقفة ظاهراً في وجه الجمعية البارزة ضد طابعها . فتعاقب الوراثات المختلفة وتنافس المدنيات المتناقضة وتناقض المذاهب والملل وقيام الحروب الشعواء من اجل مناصرة هذه المذاهب وتلك المدنيات كل ذلك وما سواهُ جعل الصورة الاجتماعية يداخلها في بعض المواضع شيء من الابهام يسمح لقوى خاصة في نفس الفرد ان تقوم وتقوى وتصل من ذلك الى مناهضة الجمعية وقوانينها السائدة مناهضة تختلف مقدارها باختلاف الملكات والقوى وباختلاف الظروف التي قامت فيها تلك الملكات وتكونت وقويت . ففي نفوس هؤلاء الافراد تقوم فكرة المسؤولية على اساس يتفق مع طابع الجمعية الى الحد الذي تبدأ بعدهُ تلك القوى والظروف الفردية تناوئ الوحدات الاجتماعية السائدة . اما بعد هذا الحد فتكون فكرة المسؤولية مضطربة لا يجدها الا الجزاء القانوني المقابل لما يبعثها من الاعمال والحركات الفردية

وكلما ازدادت الظروف الخاصة وسمحت للفرد ان يقوم بكلهِ في وجه الجمعية تداعت في النفس فكرة المسؤولية وحفت بها اعتبارات خاصة ترجئ بحثها الى ان نصل للمقارنة بين فكرتي المسؤولية والجدارة

هذه القواعد التي قدمت تنطبق على الاشخاص الذين يتبعون تطرتهم ويسيرون مع عواطفهم سواء كانت هذه الفكرة وتلك العواطف اجتماعية او ضد الاجتماع . واما الاشخاص الذين يصلون من تربيتهم الى حد التفكير الفردي الخاص فاولئك يحللون مسؤولياتهم في كل صغيرة وكبيرة مما في الحياة . وذلك لا يمنع احساس بعضهم من ان يكون ميتاً امام الذنب الذي يرتكبهُ

بل ان اولئك الذين يصلون من تفكيرهم الفردي الى حد تحليل المسؤوليات التي تكونت

في تنوسهم من نعومة اظفارهم يكونون في الغالب اقل احساساً بعظم الخطيئة كما يكونون اقل دهشة او اعجاباً او تقديساً امام الجيل العظيم . وسبب ذلك هو ما قدمنا من ان التحليل والتسبيب يستدعيان الاحتمالات والافتراضات التي هي اساس الشكوك . والشكوك اذا بدأت عملها في تحليل المسؤولية اضطرت حتماً ان تتناول الوحدات الايمانية التي هي اساس المسؤولية . وهذه الوحدات الايمانية هي الغذاء الروحي الذي يدخل القلب والنفس ويعطيها من القوة ما يعطيه الغذاء المادي للجسم . فاذا دخلها الشك ابتدأت النفس تتزعج ويعقب ذلك حتماً ازدراء الحياة والتقزز منها . ومتى داخل النفس التقزز صغر امامها كل شيء واحتقرت الوجود وما فيه . فتضاءل الاعجاب وتضاءل الاسف وخمد القلب وقلت نزعاته الكريمة . ولولا ان فطرة استبقاء الحياة قوية جداً تغلب كل شيء لوصل المفكر الى نتائج أنفس من الرضوخ لاحتمال الحياة . ولكن هذه الفطرة القوية الفعالة تعيد كرتها عليه وتغلب فيه دواعي استنكار الحياة بانواع شتى من الحيل . ابسطها ان يسأل المرء نفسه وما نتيجة استنكار الحياة . هنالك يعاوده الامل ويرى وجوب الاخذ في الحياة العملية بواجبات قريبة من المتعارف تكون نظامه وغايته . ولكنه يبقى حاسًّا بشيء من الوحدة يدفعه ليجاهد في سبيل ادخال وحداته الايمانية الخاصة في كتاب الاجتماع فيجد في الناس اخواناً واصدقاء . وهذا الجهاد هو نوع خاص من انواع المسؤولية نبينه فيما سيأتي ونوضح سببه ونتيجته

ولكن هذه الصور التي جئنا بها في طريق تحليلنا لفكرة المسؤولية كالشذوذ الفردي والمجانين العظماء وخمود حاسية المفكر بالمسؤولية اليست في ظاهرها تقف في وجه الفكرة الاولى فكرة انطباع صورة الجمعية في نفس الفرد وتكوينها بذاك ضميره وادخالها مبادئها عليه وتركها اياه يقدر المسؤولية بمقدار هذه المبادىء . فكيف يكون ذلك مع ما عليه الجمعية من قوة تكاد تلاشي الفرد كل التلاشي ؟ ان اول القوانين الطبيعية التي تعمل في كل المخلوقات الحية قانون بقاء الاصلح وفناء الشاذ . وهذا القانون لا يحتمل اي استثناء . فهو يستخدم كل الوسائل ليكون نافذاً على كل المخلوقات . فهل اضمحل في الجمعية الانسانية . وهل بقي القوانين والانظمة محاربة الطبيعة ونواميسها وان صح ذلك فكيف يكون النظام الاجتماعي طبيعيًّا وهو بنفسه يحارب الطبيعة

هذه مسائل واعتراضات يحار الذهن امامها اذا هو لم يستعن على حلها بمعلومات خارجة عن المنطق المجرد . وام هذه المعلومات معرفة قانون التطور وكيفية عمله وتفاعله مع قانون

بقاء الاصلح . فان الجمعية الانسانية لم تكن من الف الف سنة ما كانتهُ من الف قرن ولا ما هي عليهِ اليوم بل هي تتطوَّر وتدخل فيها عناصر وتحل عناصر اخرى . وتنتقل بذلك من جيل الى جيل محمَّلة بماضيها مستعدة لانقلابات جديدة حاملة في جوفها بذور ثورات وانظمة واختراعات لاحد لها ولا نهاية . لكن حصول هذه الانقلابات ليس معناهُ فناء ما سبقها وقيام نظام جديد لا علاقةَ لهُ بالماضي . فان الطفرة مستحيلة استحالة تامة . ولكن الانقلابات معناها انهيار بناء متداع فخر السوس في اصلهِ وظهور ابنية جديدة كانت اسسها موجودةً بشعر الناس بها ولكنها لم تكن قد ارتفعت بعدُ واعلنت نفسها . وحتى الابنية القديمة التي تنهار لا تفنى فناء مطلقاً . ومهما كان من شدة حنق الانسانية حين قامت فدكتها فان ذلك لا يمنع هذه الانسانية نفسها حين تراجعها سكينتها من ان تبني لذكرى ذلك الماضي اضرحةً جميلة من الرخام النقي وان تقيم حولها الازهار وتخلدها باشعار رائعة . ذلك لان في الماضي مهما فخر اصولهُ السوس ذكري ابائنا واجدادنا واعزةٍ علينا . فيهِ ذكرى عظماء الانسانية الخالدين . فيهِ ذكرى فرعون وموسى والمسيح ومحمد وشكسبير ونابليون . والماضي هو فرق ذلك قمرةٌ من عمر الانسانية ذات اثر خالد في حاضرها ومستقبلها . ومن ذلك يظهر ان التطور ليس استحالةً تامة ولكنهُ فروع جديدة تنمو على الجذع الاصيل مكان فروع اخرى ذبلت وسقطت وتركت في ذلك الجذع القديم اثرها الذي يعز كل جيل من اجيالهِ آثاراً متبدلة لا يمكن ان تزول

وحدوث هذا التطور راجع الى ما يلقيهِ جماعة الذين ينظرون الى الحوادث الاجتماعية نظراً سطحيًّا للتضارب بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة . فهذه الحركة العظيمة التي يسعى اليها كل واحد من بني آدم للوصول الى مركز عالٍ او ثروة ضخمة او متاع بالحياة كبير مضحيًّا في سبيل ذلك بعض الاعتبارات الخلقية واصلاً احياناً في هذه التضحية الى ارتكاب ما تحرمهُ سنن الاجتماع الادبية بل قواعدهُ القانونية — هي السلَّم التي تتدرج عليها الجمعية من حالتها البربرية الاولى الى مدنيات مختلفة وصلت الى ما نراهُ اليوم من عظمة السلام وعظمة الحرب . وهي السلَّم التي ينتظر ان تصل عليها الى ارقى مما نرى بكثير . لهذا فهما جاهدت الجمعية بقوانينها ووحداتها الادبية واكراهها المادي والمعنوي تريد ان تخضع الافراد لسلطانها فسيبقى دائمًا في قرارة النفس الفردية شيءٌ كأنهُ يثور على هاتهِ القوانين والقواعد والوحدات وعلى الرغم من هذا الاكراه . لأن هذا الشيء الكمين في النفس والاحساس الداخلي الذي يدفع الفرد مهما خضع لاوامر الجمعية التي هو منها ليثور عليها او ليفعل ما

قد يضرها والموجود في كل الافراد بكيات مختلفة هو اساس تلك الظاهرة الاجتماعية التي يقوم عليها التطوُّر الانساني - هو نزعة الجنس الى الكمال والتطلع الكمين في نفس الانسانية مأخوذة كوحدة قائمة بذاتها وسط وحدات الكون وعوالمه الاخرى يريد بها ان تصل لتحتل مكان القلب والعقل والروح من نفس الوجود كلهِ - على ان هذا الاحساس الدقيق العظيم تجسد جذوتهُ في معظم النفوس وتحول في طريق لا يمكن ان يصل الى الغاية المرجوة في نفوس اخرى في حين هو يوتق كل التوفيق ويصل الى احسن النتائج في نفوس ثالثة - والخمود والتهور والنوع انما تكون بمقدار استعداد تيارات الجسم لتلقي والاصدار وللتفاعل مع الحوادث سلباً وايجاباً

محمد حسين هيكل المحامي

دكتور في الحقوق

الحياة بعد الموت

ومناجاة الارواح (تابع ما قبلهُ)

قلنا في مقتطف مايو ان السر اوليفر لدج قصد وسيطاً اسمهُ يترس لكي يوسطهُ في الكلام مع روح ابنهِ وان يترس هذا لم يكن يعرف مَن هو على قولهِ وكان ذلك في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٥ مع ان لادي لدج استخدمت هذا الوسيط نفسهُ في ٢٧ سبتمبر اي قبل ذلك باكثر من شهر - وهاك خلاصة ما ورد في كتاب السر اوليفر لدج عن هذه الجلسة

دعت مسز كندي لادي لدج ان تجرب وسيطاً يختلف عن الوسطاء الذين استدأتهم قبلاً واتفقت مع رجل اسمهُ يترس على ان يأتي بيتها ويغيب فيهِ لاجل صديقة لها لم تعينها لهُ - وفي الساعة الثالثة بعد الظهر من يوم الاثنين في ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٥ ذهبتْ لادي لدج وحدها الى بيت مسز كندي فبيّن ذلك وانتظرت هيئةُ ولم تجد لم تعرّفهُ مسز كندي بها - ولهُ مرشد اسمهُ موندون كما تقدّم ولم يكن هناك احد غيرهُ الاَّ مسز كندي ولادي لدج فاخذت مسز كندي قلماً وقرطاساً وجعلت تكتب ما يقولهُ في غيبوبتهِ - و يعتقد السر اوليفر لدج ان هذه الجلسة مهمة جداً لان الوسيط لم يكن يعرف غرض لادي لدج ولا اسمها - فان كان كما قال وكانت مسز كندي لم تتواطأ معهُ على غشها فالامر في حد الغرابة الاَّ اذا غشاها عن غير قصد

قال السر اوليفر ولما جلس بيترس اعتراه الذهول حالاً وتجلّى لهُ مونستون مرشدهُ وذكّر مسز كندي بما انبأها بهِ قبلاً عن معركة كبيرة تقع في دنسك بروسيا كانها معركة فاصلة ثم التفت الى لادي لدج وقال

« ما انفع السيرة التي سرتها ولا تزالين تسيرينها فقد كنتِ دائمًا معينًا قويًّا عاشرتِ كثيرين وانت ام الاولاد ودعامة البيت . والكِ المام بمناجاة الارواح وقد اتصلتِ بها منذ زمنٍ . ارى انكِ ساكنة في غير لندن الى الشمال والشمال الغربي . تقابلين الرجال وانتِ والدة وليس في اللغة كلمة تعبّر عن مرادي فانهُ لا يكفي ان يكون قلبك اربعة جدران بل لا بدَّ لهُ من شيء آخر فانتِ عماد البيت . لقد أصبتِ حديثًا بوزيثة كبيرة بوفاة جاءت فجأة . ولم تكوني لتوقعين حدوث ما حدث

« هنا رجل من العالم الآخر ذهب من عالمكم بغتةً وبعة بين الرجال عريض الاكتاف اسيل الخد اقنى الانف غليظ الشفتين منتسق الاسنان اكحل الحديث ضحوك محبٌّ مضى الى عالم الارواح مسرعًا ولم يكن الموت ليخطر لهُ ببال لانهُ لم يرض التعرفين ماعلانة الحرف L بهِ . ان ما سأقولهُ الآن اقولهُ عن لسان بولس فقد قال قُل لامي انهُ ليس هنا L واحدة بل اثنتان . قل لامي فهي تحب الاحاجي

« لا يخطر لهم ان يسهلوا الامر عليكِ فانهُ ما يسهل عليكِ يصعب عليهم

« الرجل جندي ضابط ذهب وقت الحرب

« انتِ امهُ أليس الامر كذلك وهو لا يناديكِ بقولهِ Ma, او Mama او Mater بل Mother, Mother

« هو سكوت ولكنهُ اخبركِ بامور كثيرة جدًّا وانتِ امهُ وصديقتهُ ايضًا

« الم يكن كثير المطالعة اراهُ يضحك ويقول نعم كنتُ كذلك لاني وبيت معهم ولكنهُ لم يقصر اجتهادهُ على المطالعة

« كان يعرف شيئًا عن مناجاة الارواح قبلما مضى لكنهُ لم يكن كثير الثقة بها ولا كثير الاكتراث لها ولقد طلب مني ان اقول لكِ ذلك

« ان موقف المتوفى متسع واضرابهِ حوّل افكارهُ فمن الجهة الواحدة كان يرى تطرّفًا في تصديق كل ما يقال ومن الجهة الاخرى ازدراء بما يقال لما فيهِ من السخائف

« امسكْ بيدهِ قبضةً من الزيتون رمزاً اليكِ وضحك ثم قال ان لكِ وولد علاقة

بالزيتون[1] وهذه علامة لك لتعلمي انهُ هو نفسهُ المتكلم

« قبلما اتيت كنت في غم شديد . هل مرض ثلاثة اسابيع بعد ما أصيب . اني ارى الرقم ثلاثة تتكرَّر مراراً ولا اعلم ماذا يراد بهِ

فقالت لادي لدج لعلهُ اراد الاورطة الثالثة[2]

فقال « ثم ثم نُقل الى غيرها . وطلب ان تخبري اباهُ بذلك كلهِ ولا تنسي . البيت الذي ربي فيهِ علاقة كبيرة بالكتب ففيهِ تقرأ وفيهِ تؤلف . رو بداً رو بداً . ذكر كلة لم افهمها جيداً بلى نُسَخ نُسَخ . وهوذا رسالة الى ابيهِ يقول لهُ فيها لا تاتِ الى هنا لمقابلة الوسيط لانهُ يخاف منك فلا تعلم منهُ شيئاً ولكنهُ لا يخاف منكِ فاذا اراد هذا الرجل ان يخبرك بشيء فهو ينقل الخبر اليك . عندكم صور لهُ وقبلما ذهب الى الحرب تصوَّر صورتين او ثلاثاً صورتين وحدهُ وصورة مع جماعة (جاء الكلام على هذه الصورة في مقتطف مايو صفحة ٤١٩)

« لما كان صغيراً كان مشغوفاً على لعب كرة القدم وقال جوائز لم تزل في بيتكم[3] . أخبرتم بالتلغراف بما باصابتهِ او بموتهِ . لم يمت حالاً . جُرح ثلاثة جروح لا اظن ان تفاصيل التكم حتى الآن . لو طال اجلهُ لاشتهر في العمل الذي انقطع لهُ . ألم يكن لهُ علاقة بالكيمياء ان لم يكن فقد كان احد اقاربهِ متعلقاً بها لا اني أرى كل شيء كانهُ في عمل كيماوي[4] وهو رجل لا يزال في الجسد ويتصل بهِ رجل آخر شاعر وهو هنا ولهُ بهِ علاقة روحية وهو ماهر جداً ومن الذين غادروا الكلترا وقد تكلَّم معكم مراراً وهذا الرجل الذي ينظم الشعر اول اسمهِ حرف M وقد ساعد ابنكِ ان لم يكن ابنكِ قد عرف هذا الرجل فقد عرف عنهُ . ووراء هذا الرجل الشاعر جمهور كبير ولا تعجبي اذا جاءتكِ رسائل منهم ولو كنتِ لا تعرفينهم وما يأتي امر ضروري ولذلك سأتكلم متمهلاً حتى تسهل كتابة كل كلمة أقولها

---

(١) المقتطف كلة زيتون بالانكليزية اولف Olive واسم اولفر مركب منها وروالد اسم عائلة اخرى اقترن واحد منها حديثاً بابنة اولفر لدج

(٢) كان في الاورطة الثالثة وهو يتمرَّن ثم نقل الى الثانية لما ذهب الى ميدان القتال

(٣) قال السر اولفر لدج « ان ذلك غير صحيح » . واكثر شبان الانكليز مولع بلعب كرة القدم وقال بعضهم الجوائز فذكر الوسيط ما رجع وقوعهُ (٤) السر اولفر لدج مشهور بانهُ من كبار علماء الطبيعة والكيماويين وفنٌّ من لا يعرف ذلك من الانكليز

« ان الحاجز رقيق جداً حتى يُسمع ما يقال وراءهُ وليس ذلك فقط بل قد ثغر ثغرةً واسعة »

هذه رسالة الرجل المشتغل في المعمل الكهاوي

« والفتى (وانا اسميهم كلهم فتياناً لانهُ مضى عليَّ هنا اكثر من مئة سنة فكلهم فتيان بالنسبة اليَّ) يقول « كان الامر قبلاً متعلقاً بالراس اما الآن فصار متعلقاً بالقلب وزد على ذلك (وهنا غمض بيترس بغتةً وعض اصبعهُ وصاح قائلاً « بالله الآن صار ابي اقدر مما كان على المجاهرة بما يريد لان الامر يمس القلوب »

فقالت لادي لدج أيريد ان يجاهر أبوهُ بهذا الامر

فقال « نعم ولكن ليس الآن وستأتيكم بينات بمستقبل نقضها . واسمهُ كافٍ لنفي كل هذه المقاومات السخيفة

« لم اتألم كثيراً ولقد رتَّبت كل اموري قبل ذهابي [1]

« ألهُ اخت عندكم واخت هنا . اخذهُ هذه كانت طفلة حتى لا تُحسب معهُ

« لهُ اخوان واحدة على كل جانب واحدة في الظلمة وواحدة في النور [2]

« ابنتك واقفة على احد جانبيهِ وبولس على الجانب الآخر وهو بينهما وقد انحنى وقبَّلك هنا (وأشار إلى جبينهِ)

« قبلما سافر عاد الى البيت هنيهة . ألم يأتِ ويقم ثلاثة ايام »

ثم جعل يصف ثلاثة بيوت سكناها البيت الذي نحن فيهِ الآن والبيت الذي كنا فيهِ في لفربول وبيتاً ثالثاً سماهُ بيت عمو ولكن الكلام كان مشوشاً إما لان لادي لدج لم تفهمهُ جيداً او لان الكاتبة لم تستطع تتبع المتكلم . ثم استطرد الى امور طفيفة لا شأن لها . انتهى

التكلم بواسطة المائدة

يضع الوسطاء والذين يناجون الارواح بواسطتهم ايديهم على مائدة صغيرة ويتفقون على ان تحرِّك المائدة احدى ارجلها اذا ارادت ان تقول كلمة نعم ورجلاً اخرى او اكثر اذا ارادت ان تقول كلمة لا . وعلى انهم يتلون عليها حروف المجاء حرفاً حرفاً فتحرك احدى ارجلها عند تلاوة كل حرف ما عدا الحرف المراد ثم يجمعون هذه الحروف المرادة فيكون منها الكلام الذي تريد المائدة ان تقولهُ . ولا يدعي السر اوليفر لدج ان المائدة تحرك ارجلها

(١) قال السر اوليفر لدج إن ابنه كتب وصيته ورتب كل امور قبل ذهب الى الحرب

(٢) قال السر اوليفر انهُ ولد لهُ ابنة قبل ريمند اسمها شيرلت ولم تزل حيا وولد لهُ ابنة اخرى بعد ريمند وماتت بعد ولادتها بضعة اشهر وهو اصغر ابنائه والابن الوحيد لهُ الذي ولد بين ابنتين

من تلقاء نفسها ولا ان الروح تحركها بل ان يد الوسيط او يد احد الحضور تحركها والفرق بيننا وبينهُ في تعليل حركة المائدة انهُ هو يعتقد ان روح الميت تحركها بواسطة يد الوسيط او يد احد الحضور لانها قد تنبئ باشياء لا يعرفها الوسيط ولا الحضور ونحن نقول ان الوسيط او الحضور يحركونها اما افتعالاً بارادتهم اذا كانوا خادعين او اعتباطاً على غير ارادتهم كما يفعل بعض الذين يمشون وهم نيام وكما يفعل المصابون بالبحران والذين يستهوُونهم وتبقى مسألة انباء المرء بما لا يعلمهُ ونحن نعلل هذا الانباء اما بانهُ يعلمهُ ويدعي انهُ لا يعلمهُ خداعاً منهُ واما انهُ مرَّ بهِ فعلمهُ ونسيهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول اي انهُ علمهُ بعقلهِ الباطن ولم يدرك انهُ علمهُ ثم يذكرهُ وهو في حالة الذهول لان قوى العقل الظاهر تذهل حينئذٍ وتنبَّه قوى العقل الباطن . وقد شرحنا ذلك غير مرة وسنعود الى شرحهِ بالاسهاب في فرصة اخرى . واذ قد تمهَّد ذلك نذكر خلاصة ما كتبهُ السر اوليفر لدج عن بعض الجلسات التي جلسها هو واهل بيتهِ وكلموا فيها روح ابنهِ بواسطة المائدة

جلس السر اوليفر لدج وزوجتهُ حول مائدة في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩١٥ في بيت مسز ليونارد وكان الدكتور كَنَدي حاضراً يكتب الحروف التي يقال ان المائدة دلت عليها . وكانت المائدة صغيرة من الميدان مسطحها مربَّع طول كل ضلع من اضلاعهِ قدم ونصف قدم وقد جلس حولها السر اوليفر لدج ولادي لدج متقابلين وجلست مسز كَنَدي الوسيطة ومسز ليونارد متقابلتين وهاك الحديث الذي جرى حينئذٍ

الوسيطة — تخاطب الروح المرشد لها « اضرب ثلاث ضربات للدلالة على انك فهمت

فضربت المائدة ثلاث ضربات برجلها

الوسيطة — اتريد ان تذكر اسمك

فضربت المائدة ثلاث ضربات وهي كلمة نعم

الوسيطة — احسنت فاذاً تهجَّ حروف الهجاء

فتلتها مسز ليونارد وكانت المائدة تتحرك عند تلاوة كل حرف ووقفت اولاً عند الحرف P ثم عند الحرف A ثم عند الحرف U ثم عند الحرف L فاسم المرشد Paul اي بولس ابن مسز كندي المذكورة قصتها في متنطف مايو

السر اوليفر — احسنت يا بولس نحن نعرف مَن انت . والت تعرف مَن نحن ونعرف ايضاً انك اتيت بريمند لكي تساعدهُ

المائدة — نعم

لدج — نحن الذين هنا نعلم ذلك وقد اقمت لنا البيّنات الكافية ولكنني جئت الآن لتأتيني ببينات تقنع اهل بيتي

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً قبل ان اسألك سؤالاً

سكوت

ثم اهتزت المائدة اهتزازاً مفهومهُ انها تريد ان تملي عليها حروف الهجاء فتليت مراراً وكتب الدكتور كندي الحروف التي وقفت عندها فاذا مجموعها ما ترجمتهُ « ريمند يريد ان يأتي بنفسهِ » وحينئذٍ صرخت لادي لدج قائلة يا حبيبي ريمند وتنهدت على غير ارادتها فقالت المائدة لا تتنهدي اي وقفت عند حروف الهجاء التي مجموعها لا تتنهدي ومنهُ من ذلك ان روح ريمند هي التي صارت ترشد الوسيطة في تحريكها المائدة

لادي لدج — أتنهدتُ

لدج — نعم ويجب ان لا تبدي شيئاً من دلائل الحزن لانهُ لا يريد ذلك لاسيما وانهُ على غاية ما يرام وانا مسرور لان لنا ولداً هناك

المائدة — نعم

لدج — اظأن بال امك يا ريمند الآن

المائدة — نعم

لدج — أأشرع اذاً في السؤال

المائدة — نعم

لدج — انتبه واجبني على مهلك ماذا كان الاولاد يسمونك

المائدة — Pap (١) ثم اهتزت كأنها شعرت بخطإٍ في قولها

لدج — لا مانع جرّب ثانيةً

فوقفت المائدة عند الحروف Pap ولكنها اهتزت اهتزاز الريب وتليت الحروف عليها فوقفت عند الحروف Pas

لادي لدج — اعطيتنا حرفين صحيحين يا حبيبي فاجتهد واعطنا الحرف الثالث صحيحاً

وتليت الحروف فوقفت المائدة عند الحرف t

(١) هذه الكلمة تطلق غالباً في البيوت الانكليزية على الولد الاصغر كأن الوسيطة كانت تعلم ان الولد الاصغر تحرّكت المائدة بذلك ولكن لما كانت تعلم انهُ كان يحبّ اسماً آخر فانكرت حركة المائدة

لادي لدج — نعم اصبت

(وقال السر اوليفر لدج ان هذا هو الصواب وهو وزوجتهُ يعرفانهِ ولكن الوسيطة لا تعرفهُ وفاتهُ ان الذي اوقف المائدة عند حرف ت هو يدهُ او يد زوجتهِ لا يد الوسيطة)

لدج — احسنت أأسألك سؤالاً آخر

المائدة — نعم

لدج — اتذكر اسم اخ من اخوتك

وتليت حروف الهجاء فوقفت عند الحروف Norma

فظن السر اوليفر ان الحرفين r و m خطأ فقال مخاطباً روح ابنهِ لقد التبس الامر عليك فاذكر الحروف مرةً اخرى

فاعيدت تلاوة الحروف فوقفت المائدة عند الحروف Noel

فقال لدج — « اصبت » ثم اشارت المائدة الى انها تريد ان تتلى الحروف عليها فتليت ووقفت عند حروف ظن الدكتور كندي ان معناها اسرعوا في السؤال

لدج — اذا تريد ان نسألك ايضاً فاذكر لنا اسم ضابط من الضباط

فوقفت المائدة عند حروف Mip ثم اشارت الى ان ذلك خطأ وقال السر اوليفر ان الحرف الاخير ليس p فوقفت المائدة ثانية عند حروف Michell

لدج — فاسم الضابط اذاً متشل

المائدة — نعم

لدج — أكان في رتبة كبتن

فلم تتحرك المائدة — فقال أكان في رتبة ملازم ثانٍ فترددت في الجواب بين السلب والايجاب

لدج — مرادي الآن ان اذكر اسماً ولي من ذكره غرض . اتذكر اسم كاس Case

المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تخبرنا شيئاً عنهُ

المائدة — نعم

لدج — اذاً تلوا حروف الهجاء . فتليت واذا معنى العبارة التي وقفت المائدة عند حرفها « ان امورهُ ماشية على ما يرام » ثم قالت هو ههنا

لدج — أهو عندكم

المائدة — كلاً . هو هنا تكلموا

وقالت مسز كندي ان المراد ان ريمند هنا و يطلب منكم ان تتكلموا

لدج — كيف رأيته آخر مرة المائدة — نعم

لدج — اتريد ان تقول شيئاً خاصاً او هل ابلغت كاس امراً خاصاً المائدة — نعم

لدج — وما هو

فارتبكت حركات المائدة وذكرت الفاظاً لا معنى لها . وقال لدج انهُ يظهر لي كأن ريمند نسي ما قالهُ لكاس وهو يفتش دماغهُ الآن ليتذكرهُ ولذلك تدمت على الدخول معهُ في هذا الموضوع فسأقودهُ الى موضوع آخر يسرهُ الخوض فيهِ ثم قال اتريد ان تذهب امك وترى احد اصدقائك

وعلى اثر ذلك ذكرت المائدة اسماء كثيرة ولكن السر اوليفر لم يشأ ان يتكلم عنها لان الحضور كانوا يعرفونها فقال لابنهِ اترغب يا ريمند في فورد (نوع من الاتومبيل)

فقالت المائدة — نعم بعد ما توقفت مدة كأنها لم تدرك المراد

لدج — ألم تشعب المائدة — كلا (بصوت عالٍ اي تحركت حركة عنيفة)

لادي لدج — انا لا اعرف مثل يا ريمند المائدة — لا

لدج — اذاً هذا بيّنة كبيرة المائدة — نعم

لدج — افهذا هو سبب اختيارك لهُ المائدة — نعم Arr

الوسيطة — كلا هذا لا يحتمل ان يكون صحيحاً

لدج — قد يحتمل ان يكون صحيحاً فدعهِ يتكلم

المائدة — oplane (صارت الكلمة اروبلان اي طيارة)

فلم تفهم لادي لدج المراد وقالت انهُ اخذ يمزح على جاري عادتهِ ثم قالت هل ترانا يا ريمند

المائدة — نعم

لادي لدج — ارأيت انني اكتب لك المائدة — نعم

لادي لدج — استطيع ان تقرأ ما كتبتهُ لك المائدة — نعم

لادي لدج — كيف تقرأهُ . اقرأهُ بالتطلع من فوق كتفي

فطلبت المائدة ان تتلى عليها حروف الهجاء ووقفت عند حروف معنى مجموعها انني اشعر بهِ شعوراً

لادي لدج — استطيع ان تكتب بواسطة يدي يوماً ما سكوت

لادي لدج — على كل حال لا مانع لديك من ان اجرّب المائدة — نعم

لدج — أأنت مشغول جداً هناك المائدة — نعم

لدج — اني عازم ان اسألك عن شخص آخر المائدة — كلا

لدج — ألا تريد . لا بأس اني اسألك سؤالاً آخر هل لقيت احداً من اصدقائي الاحصاء المائدة — نعم

لدج — اذكر حروف اسمهِ المائدة — ميرس وغرا

فظن لدج ان المائدة اخطأت وقال هل مرادك وغرني

المائدة — Grand father (جدي) اي جد ريند

لدج — اتعني جدك اذاً المائدة — نعم

لادي لدج — أهو مع ميرس وغرني المائدة — كلا

لادي لدج — اي جدّيك تعني اذكر الحرف الاول من اسمهِ المائدة — W

لادي لدج . يا حبيبي يا أبي — لا بدّ من انهُ يأتيك و يساعدك

لدج — افضّل التكلم بواسطة المائدة على التكلم بواسطة فدى المائدة — نعم

لدج — اتذكر الجلسة مع امك امس المائدة — نعم

لادي لدج — اتذكر كلمة اوليڤز Olives المائدة — نعم

لادي لدج — ماذا تعني بها المائدة — اوليفر Oliver

لادي لدج — فهمنا الآن ان واحداً من بيت وولند يقترن بواحدة من بيت اوليڤر المائدة — نعم

لدج — اذاً لم تشر الى ايطاليا المائدة — كلاّ

لدج — ولكنك تحب ايطاليا المائدة — نعم

لدج — اتذكر احداً في ايطاليا بنوع خاص فاذكر اسمهُ فذكر اسماً صحيحاً

لدج — اشرح لنا كيف تخاطبنا بواسطة المائدة

قال لدج فجعلت المائدة تحرّك والحروف التي تقف عندها تجمع ولكنها كانت كثيرة فلم يستطع الجلوس ان يتتبعوها كلها ولكنهم تتبعوا ما ترجمتهُ « انتم كلكم تعطون المغنطيسية للوسيط فتذهب الى المائدة ونحن نستخدمها »

لدج — اني لا احسب ذلك مغنطيسية ولكن يظهر انهُ لا مانع عندك من اطلاق هذا اللفظ عليهِ على ما يظهر المائدة — كلاّ

لدج — ان ام بولس تريد ان تتكلم انت بواسطتها حينما تشاء وهي تنقل كلامك الينا فاذا اردت ان تخبرنا شيئاً فتكلم بولس وهو يكلمها المائدة — نعم

وسئل عن اسمي اخيه فذكر اسميهما ولكنهُ ذكر اسم احدهما هكذا Rosalind وبيت لدج يكتبونهُ Rosalynd كأن الوسيطة تعرف لفظ الاسم ولا تعرف تهجيتهُ وهذا وحدهُ يكفي للدلالة على ان المحرك لم يكن روح ريمند بل ارادة الوسيطة نفسها لكن السر اوليفر لدج لم ينتبه لفاد ذلك

لادي لدج — اتقدر ان تراني يا ريمند ولو لم اكن مع الوسيطة المائدة — احياناً

لادي لدج — اظنك تعني انك تراني حينما افتكر بك المائدة — نعم

لادي لدج — اذاً تراني كثيراً لانك لا تبرح من بالي المائدة — نعم بصوت عالٍ

لدج — قل لميرس وغُرني اني مسرور بما سمعتهُ عنها وبانهما يساعدانك

المائدة — نعم

لادي لدج — قدّم شكري الجزيل اخرني لاجل الرسالة التي وصلتني منهُ منذ مدة

المائدة — نعم

لدج — حسبُك وقد صار طلبك ان تستريح المائدة — نعم

لادي لدج — نَم نومة من نوماتك المشهورة المائدة — نعم (بصوت عالٍ)

وعلّق السر اوليفر لدج على هذه الجلسة كلاماً يتعلّق باسم متشل والاروبلان وقال انهُ لم يكن يعلم من هو متشل هذا ولا كان احد من الجلوس يعرف من هو . وبعد البحث والتحري علم في ١٠ اكتوبر من حافظ مكتبة لندن ان في فرقة الطيران رجلاً برتبة ملازم ثان اسمهُ متشل فكتب السر اوليفر اليهِ فتاهُ جواب منهُ في ٦ نوفمبر يقول فيهِ « اظنني لقيت ابنك مرةً ولكنني نسيت اين لقيتهُ وقد كادت جروحي تشفى وأعدت الى انكلترا برتبة كبتن وقد تأخر كتابك عن الوصول اليَّ لانهُ ارسل الى فرنسا اولاً الخ »

نقول فان كانت روح ريمند قد ارادت متشل هذا حقيقةً ولم يكن احد من الحضور حول المائدة يعلم من هو فذكر اسمهِ مما يسهل تعليلهُ بالامور المعروفة ولكن لا دليل على انهُ هو المراد ولا دليل على انهُ لم يكن احد من الحضور يعلم هذا الامر ولا نرى ما هي الحكمة من ذكر اسم رجل لا يعرف ريمند ولا يكاد يتذكر انهُ رآهُ في حياتهِ ولا شبهة ان ريمند تعرّف بكثيرين من الذين لا يعرفهم الجلوس حول المائدة فلماذا أختار هذا الرجل دون سواهُ . وسنقتطف من جلسات اخرى ما ظاهرهُ ادلُّ على تأييد السر اوليفر لدج مما تقدم

خطبتان نفيستان

للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية

ولد المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية الحالي في منشستر سنة ١٨٦٣ وكان ابوهُ معلماً وامهُ ابنة قسيس . توفي ابوهُ وهو طفل فكفله خالهُ ورباهُ حتى اذا بلغ الرابعة عشرة أُتفق عليهِ لدرس المحاماة فدرسها ونال شهادتها سنة ١٨٨٤ وانتخب سنة ١٨٩٠ في البرلمان واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٠ . واشتهر بدفاعهِ عن حزب ويلس الوطني وعن استقلال كنيستها . واشتهر في البرلمان بجسارتهِ وشدة اندفاعهِ في معارضة المحافظين . وبلغ ذلك منتهُ غايتهُ في حرب البوير فعارض المستر تشمبرلن اعظم معارضة ودافع عن البوير بكلام مرّ قارص وجّههُ الى رجال الوزارة فثارت خواطر الجمهور عليهِ حتى انهُ لما حاول الخطابة في برمنهام في انتخاب سنة ١٩٠٠ قاومهُ الحاضرون فاضطر ان يفرّ منهم ولكن اعيد انتخابهُ في بلدهِ وزادت شهرتهُ في البرلمان التالي بمقاومتهِ لمشروع قانون التعليم

ولما فاز الاحرار في انتخاب سنة ١٩٠٦ وتولى السر هنري كمبل بنرمن رياسة الوزارة جُعل وزيراً للتجارة . وبعد ذلك بسنتين توفي السر هنري وخلفهُ المستر اسكويث فجعلهُ وزيراً للمالية . ومن اشهر آثارهِ في وزارة المالية ادخالهُ مشروع القانون الخاص بمعاشات الشيوخ على ان اشهرها والذي جعل اسمهُ حديث الانكليز في كل مكان مشروع القانون المعروف بقانون البرلمان . وخلاصتهُ ان المستر لويد جورج بصفة كونهِ وزيراً للمالية اراد سدّ العجز في ميزانية سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ وقدرهُ ٦ مليون جنيه بضرائب جديدة يقع معظمها على اكتاف الاغنياء . فاقترح زيادة ضرائب الاشربة الروحية والدخان والرخص والاملاك والتركات والايراد زيادة كبيرة وفرض رسوم جديدة كبيرة على اراضي البناء في المدن تبلغ ثمنهُ كبير ورسومهُ صغيرة . فلما تمت قيامة مجلس النواب على الميزانية الجديدة وكان المستر لويد جورج قد سماها « ميزانية الحرب » ولقبها انصارهُ « ميزانية الشعب » اشارة الى ما فيها من مبدإ تحميل الاغنياء حمل الفقراء . واخيراً وافق مجلس النواب عليها فارسلت الى مجلس الاعيان ليوافق عليها ايضاً حسب العادة . وفي تقاليد البرلمان الانكليزي انهُ يجوز لمجلس الاعيان رفض اللوائح المالية اذ شاء ولكن لا يجوز لهُ تنقيحها . ولم يسبق لمجلس الاعيان من قبل ان رفض ميزانية ما ولكنهُ رفض هذه الميزانية باكثرية عظيمة .

الوزير لويد جورج وخالته

مقتطف يوليو ١٩١٧

امام الصفحة ٩٤ =

فاحتجت الوزارة على عملهِ وعرضت الامر على الامة بان فضّت البرلمان واعادت الانتخاب لتقف على رأيها فيهِ ففاز الاحرار بمونة حزب العمال والحزب الارلندي

وفي خلال هذا النضال توفي الملك ادوارد السابع ورقي الملك جورج الخامس سرير الملك فسنّ الاحرار قانوناً يقضي بانهُ اذا عرض مشروع قانون مالي على مجلس الاعيان ثلاث مرات في خلال سنتين يصبح قانوناً بعد موافقة مجلس النواب عليهِ ولو رفضهُ مجلس الاعيان . فبات مجلس الاعيان بذلك مغلول اليدين في الشؤون المالية وهي الغاية التي كان احرار الانكليز يسعون اليها منذ زمان طويل

ومما اشتهر بهِ المستر لويد جورج ايضاً تهديدهُ لالمانيا في مسئلة اغادير المشهورة . فانها ارسلت احد طراداتها الى ميناء اغادير من موانئ المغرب الاقصى على الاتلانتيكي في صيف سنة ١٩١٢ تمهيداً لعمل عدواني تقوم بهِ هناك . فدارت المفاوضات بين فرنسا وانكلترا وروسيا وكانت تسمّى حينئذٍ دول الاتفاق الودّي وكانت نتيجتها ان قام المستر لويد جورج خطيباً في لندن وانبم المانيا بصريح اللفظ ان انكلترا تقاوم بالقوة كل عداء يبدو منها ضد فرنسا . فاستدعت المانيا طرادها من اغادير وانتهت الحادثة ظاهراً عند ذلك الحدّ . وواقع الامر ان المانيا اسرعت من ثمّ في استعدادها حتى اثارت الحرب الحاضرة

ولما نشبت الحرب كان المستر لويد جورج لا يزال وزيراً لالية ثم جرى في الوزارة ما جرى من التغيير والتبديل للمرة الاولى فتألفت وزارة من الاحرار والمحافظين ، وبقيت تحت رآسة المستر اسكويث ، وبقي اللورد كتشنر وزيراً للحربية . ثم لما استعفى المستر اسكويث جعل المستر لويد جورج رئيساً للوزارة ولا يزال يتولى هذا المنصب الى الآن

اما خالد المشار اليهِ فتوفي في آخر فبراير الماضي عن ٨٣ سنة فشهد المستر لويد جورج جنازتهُ هو وقرينتهُ وقبل الجنازة كتبت قرينتهُ كتاباً تعتذر فيهِ عن حضور حفلة كانت وعدت بحضورها وقالت في كتابها هذا مشيرة الى الفقيد « لقد كان لنا خيراً من أب والمستر لويد جورج مديون لهُ بكل ما لديهِ »

الخطبة الاولى

ولقد خطب المستر لويد جورج حديثاً خطبتين نفيستين الاولى خطبها يوم ١١ ابريل الماضي في النادي الاميركي المعروف باسم « اميركان لشن » في لندن على اثر انضمام الولايات المتحدة الاميركية الى الحلفاء في محاربة المانيا وحليفاتها قال فيها :

« اضرم الجيش البروسي في العصر الاخير ثلاث حروب رمى فيها كلها الى تدويخ

البلدان وفتحها وقد اختلب منظر الكتائب السكرية التي تسير في شوارع مدن بروسيا وميادين الاستعراض فيها عقول البروسيين . ولما رأى الامبراطور هذا المنظر العسكري العظيم في ميادين الاستعراض ثمل منهُ فاخذ يسن الشرائع للعالم كأن بوتسدام صارت جبل سيناء او كأنهُ ينطق بالوحي من غمامة يقصف منها الرعد

« لا تظنوا ان اوربا كانت جاهلة معنى هذه الامور ومغزاها . وكل ما جهلتهُ منها موعد انقضاض الصاعقة . لقد صبرت اوربا على هذا الخطر والاستبداد خمسين سنة وشل هذا الخطر قوى الدول كلها وغل يدها وكان حتمًا ان تبذل قواها في ترقية شعوبها واسعاد عالمها . وماذا اقول عن فرنسا . ان الفرنسويين وحدهم يستطيعون ان يصفوا لكم ما تحملوهُ من هذا الاستبداد بصبر وشجاعة وروية حتى جاءت ساعة الخلاص وفيها وُجهت جميع قوى فرنسا الديمقراطية الى الدفاع عن نفسها ودرء الخطر الداهم . فهذه ايها السادة الحالة التي تعيَّن علينا ان نخلاها

« ان من اهم ما ابتكر البروسيون ومن اعظم الامور دلالة على اخلاقهم ما يدعى « خط هندنبرج » فما هو خط هندنبرج هذا ؟ هو خط مرسوم في بلاد السوى كتب عليهِ ان اهل تلك البلاد اذا حاولوا اجتيازهُ يستهدفون للتهلكة . وقد رسم هذا الخط في اوربا منذ خمسين سنة . وبعد ما جرت اوربا على هذو الحال كل هذه المدة استقر قرارها اخيراً على ان يرسم خط هندنبرج على حدود المانيا الشرعية . هذا هو السبيل الوحيد الى تحرير اوربا وسائر انحاء العالم

« واخيراً أكرهت اميركا على معاناة ما عانتهُ اوربا فأبلغ الاميركيون انهُ يحظر عليهم عبور الاوقيانس الاتلنتيكي ذهابًا او ايابًا واذا فعلوا استهدفوا للهلاك وان بواخرهم تغرق بلا إنذار وان رعاياهم يغرقون بها من غير انذار كأن ذلك حق من حقوق الالمان . ولم تكد اميركا في اول الامر تصدق ما قيل لها وابت ان تعتقد ان شعبًا فيهِ مسكة من العقل يتصرف هذا التصرف فصبر الاميركيون على هذه الحال مرة وسكتوا عليها مرتين ولكن تبين لهم ان الالمان يبرون حقيقة تنفيذ ما يقولون وحينئذٍ عمدت اميركا الى العمل وعملت بحزم وعزم . فان الالمان رسموا خط هندنبرج على سواحل اميركا وقالوا للاميركيين اياكم ان تجاوزوهُ فقالت اميركا « وما هذا ؟ » فاجابت المانيا « هذا خطنا الذي لا يجوز لكم ان تخطوهُ » فردت اميركا قائلة « ان مكان هذا الخط ليس في الاوقيانس الاتلنتيكي بل على خط الزين وسنساعدكم على اعادتهِ الى هناك » ثم شرع الاميركيون ينفذون قولهم

« ان لدينا حقيقتين عظيمتين تؤيدان ما يقال من ان هذه الحرب نزاع عظيم لاجل الحرية واولى هاتين الحقيقتين ان اميركا انحازت الى المدافعين عن الحرية وما كانت لتنحاز اليهم لولا ذلك . والحقيقة الثانية هي الثورة الروسية فان فرنسا كانت دولة مطلقة لما ارسلت جنودها في القرن الثامن عشر الى اميركا ليقاتلوا لاجل حرية تلك البلاد واستقلالها ولكن لما وصل الفرنسويون الى اميركا صارت الحرية غرضهم الاكبر وصاروا يتشوقون هواء الحرية وصار المهم الحرية فالغوا الحرية وصاروا يستطيبونها وعادوا بها الى اوطانهم فتحررت فرنسا . وهذا ما اصاب روسيا فقد خاضت غمار هذه الحرب العظيمة دفاعاً عن حرية سربيا والجبل الاسود وبلغاريا . حارب الروس دفاعاً عن حرية اوربا فراموا ان يحرروا بلادهم وقد فعلوا

« ان الثورة الروسية ليست نتيجة نزاع لاجل الحرية بل برهان على نزاع عظيم لهذا الغرض . واذا ادرك الشعب الروسي ان حفظ النظام الوطني لا ينافض الحرية الوطنية بل ان هذا النظام ضروري لسلامة الحرية الوطنية وتوطيد اركانها — اذا ادرك الشعب الروسي هذه الحقيقة فانهُ سيصير شعباً حرًّا حقًّا . وجميع الدلائل تدل على انهُ مدركها

« سألت نفسي قائلاً ترى لماذا احرجت المانيا اميركا عمداً في العام الثالث من اعوام الحرب وتحدتها حتى دفعتها الى اعلان الحرب — اقول عمداً واكرر هذا القول

« فقد علموا ذلك بان المانيا كانت تعتقد ان في البلاد الاميركية عناصر تجعل اضرام الحرب من جانب الولايات المتحدة مستحيلاً وهو تعليل لا يقنعني ولا اصدقهُ . ولكن المرشال هندنبرج وافانا بالجواب في حديث غريب . فقد تبين من هذا الحديث ان المرشال هندنبرج معتمد على احد امرين الاول ان الغواصات ستفتك ببواخر الشعوب فتكاً يشل الكثير قبل ان تأهب اميركا حاسباً ان اميركا لا تستطيع التأهب في اقل من سنة فدل بذلك على انهُ يجهل اميركا . والامر الثاني انهُ متى تأهبت اميركا في آخر الحرب فلا يبقى في المانيا بواخر لنقل جيشها الى اوربا) وقد قال ان اميركا لا يعتد بها ومتى بذلك ان اميركا لا تملك البواخر اللازمة لعمل وهذا كان حسابهُ

« ولا يجدر بنا ان نعتقد ان هيئة اركان الحرب في الجيش الالماني اذا اخطأت فان خطأها جاء عفواً . فيجدر بالحلفاء والحالة هذه ولا سيما انكلترا واميركا ان يثبتوا الخلل في حساب المرشال هندنبرج هذا كما فعلوا بحسابهِ في خطبهِ الشهير الذي خرقناهُ

« ان الطريق الى النصر وضمان النصر والنصر الاكيد تجمع في كلمة واحدة وهي

البواخر . وقد ادرك الاميركيون ذلك بدقة نظرهم وعزموا على انشاء الف باخرة حمولة كل الواحد منها ٣٠٠٠ طن للسفر في الاوقيانس الاتلنتيكي . وعندي ان الالمان ورجال العسكرية فيهم اخذوا يرون الآن وجه الخلل في حسابهم وان هذا الخلل سيؤدي بهم الى البوار والدمار وان الشعب البريطاني شعب بطيء كثيراً اذا غضب ولكنهُ يدرك غرضهُ اما الاميركيون فاسرع منهُ الى ادراك غرضهم . وهذا هو الباعث على سروري بدخول اميركا فقد وصلنا الحرب ثلاث سنوات وكفرنا عن كل خطاء وقطعنا شوطاً كبيراً في سبيل النجاح ونحن الآن نسير في السبيل القويم

« وليسمح لي الاميركيون ان اقترح عليهم ان يمموا النظر في الغلط الذي ارتكبناهُ ويبدأوا حيث وصلنا الآن لا حيث كنا منذ ثلاث سنوات . ويسرني ان اميركا سترسل بعض رجالها العسكريين والبحريين من ذوي الخبرة الى بريطانيا العظمى لمقارضة رجالنا الذين خبروا الحرب ومشاقها ومتاعبها في الاعوام الثلاثة الماضية »

وبعد ما جاهر بما لاميركا من الفضل على الحلفاء وتجهيزها اياهم بالمدافع والذخيرة قال « ان اليوم الذي تحدَّث فيهِ بروسيا جمهورية الغرب العظمى الكثيرة الخصب والعظيمة الموارد كان يوماً اسود على استبداد بروسيا العسكري فانا نعلم ان اميركا ستضرم حرباً عظيمة مقرونة بالنصر وتكفل صلحاً نافعاً . ويسرني ان اميركا ستكسب حق الجلوس في مؤتمر الصلح الذي يبت مصير الامم ومستقبل الجنس البشري لعصور لا يمثلها الأعلام الغيوب . ولو امتنعت اميركا عن دخول الحرب لكان امتناعها نكبة على الانسانية

« اني ارى السلم المقبل ولكنهُ لا يكون فاتحة حرب اخرى بل يكون السلم الحقيقي الذي ينشدهُ العالم . ان العالم قديم الوجود ولكنهُ لم يتمتع بنعمة السلم قط بل كان يضطرب ويموج كاموج البحر وقد عاشت اوربا المسكينة كل عمرها تحت السيف المصلت

« لقد نشبت الحرب الحاضرة لان ثلثي اوربا كانا خاضعين لحكم المطلق اما الآن فقد انقلب الحال وصارت الدمقراطية عنوان السلام

« ان دمقراطية فرنسا لم تكن تبغي الحرب ودمقراطية ايطاليا ترددت كثيراً قبل ان خاضت غمارها ودمقراطية بريطانيا العظمى انجمت عنها وارتعشت وما كانت لتدخلها لولا غزو المانيا قبلجيك . فالدمقراطية طلبت السلم وجاهدت في سبيل السلم ولو كانت بروسيا دمقراطية لما وقعت الحرب ولكن هذه الحرب ولَّدت العجائب وستأتينا بما هو اغرب مما شاهدنا وهو آت قريباً

« وفي التاريخ عصور يسير فيها العالم سيرهُ المقرر لهُ ببطء والثاد حتى لقد يخيل الى الناس انهُ وقف فروتاً برمتها في مكانهِ . وفيهِ عصور يسير فيها بسرعة مدهشة ر يقطع في سنة ما يقطعهُ عادة في قرون . فمنذ ستة اسابيع كانت روسيا حكومة مطلقة اما الآن فهي من اشد دمقراطيات العالم مبالغة في الدمقراطية . اننا اليوم نثير اعظم حرب عرفها العالم في فتكها ودمارها وغداً قد تمحى الحرب من جدول الجنايات البشرية وهذا يشبه اشتداد سورة الشتاء في آخر فصلهِ قبل ان يتغلب الصيف عليهِ

« قيل عن الابطال الذين احرزوا النصر وهم من كندا واستراليا وهذه البلاد انتي اثبتت انها مع شيخوختها لم تحط ولم تهرم — قيل عن هؤلاء الابطال انهم حملوا ساعة الفجر ليخرجوا من بقعة مساحتها اربعون ميلاً مربعاً من ارض فرنسا اولئك اللئام الذين دنسوها مدة ثلاثة اعوام نعم هجم اولئك الابطال عند الفجر . ان في هذا القول لعبرة فان تباشير الفجر لاحت بالقضاء على الحكم التركي الذي ظل بضعة قرون كغمامة حجبت نور الشمس عن أبهى بلدان العالم وبتمأس روسيا من الاستبداد الذي كنت بهِ منذ زمان طويل وبالاعلان العظيم الذي جاهر بهِ الرئيس ولسن ودخول أمة عظيمة في حرب الحرية — هذه كلها تباشير الفجر

« لقد هجم اولئك الابطال عند الفجر وهم يسيرون الى الامام بنور ذلك الفجر وعما قريب يخرج الفرنسويون والاميركيون والايطاليون والروس ثم والصربيون والبلجيكيون واهل الجبل الاسود والرومانيون — من نور الفجر إلى نور الشمس الساطع » انتهى ملخصاً

الخطبة الثانية

وخطب خطبتهُ الثانية في دار بلدية لندن في اواخر ابريل وذلك في الحفلة التي اقيمت ابتهاجاً بمنح حرية مدينة لندن . وهاك ملخصها :

ان النصر بات مكفولاً لنا والمشكلة الكبرى التي يطلب منا حلها هي مشكلة الغواصات ونحن مصممون على حلها . فان المانيا تنوي ان تحول دون سير البواخر والسفن في البحار و بلوغ هذا الامر ضروري لانتصارنا اياكم والاستخفاف بخطر هذا الامر فاننا لا نستطيع تلافيهُ الاَّ اذا ادركنا مبلغهُ حق الادراك

لقد افاقت هذه المشكلة بالنا عامين ونصف عام ولم يدرك الالمان في اول الامر مضاء هذا السلاح الذي يبدو لهم ادركوهُ بعد ذلك فوجهوا قواهم الى صنع الغواصات

ولما عقدوا النية على اغراق السفن والبواخر بلا قيد ولا تمييز تيسر لهم ان يزيدوا عدد ما اغرقوهُ منها ولكنهم بعملهم هذا حملوا اميركا على دخول الحرب . وهذه نتيجة لحرب الغواصات تبعثني على اتم الارتياح . فقد ابقت اميركا في آخر الامر ان من العبث التلويح براية الحياد امام كلاب البحر

ان ابرع الناس واحذقهم في بلدان الحلفاء يشتغلون الآن بحل مشكلة الغواصات وحسبي ان اقول هذا فليس من الحكمة التوسع فيهِ ولكن صدقوني اننا مهتمون اشد اهتمام بحل المشكلة ولم ارَ في حياتي مشكلة بشرية تعجز البشر عن حلها ولست اعتقد ان مشكلة الغواصات تشذ عن هذه القاعدة

مشكلة الطعام

ثم وصف التدابير التي اتخذتها وزارات الحكومة ومصالحها لحل مشكلة الطعام فقال : ان فلاحي انكلترا يزرعون الآن من الاراضي ما يزيد عشرة في المئة عما كانوا يزرعونهُ قبل الحرب وقد ضمنت الحكومة للفلاحين وعمال الزراعة اموراً تختص بالاثمان والاجور واسفر الجهد الشديد الذي بذلناهُ في بضعة الاشهر الماضية عن زيادة المزروع من الاراضي مليون فدان وهي تُنتج مليوني طن من الطعام

مدة الحرب

« لا اقول ان الحرب تدوم سنة ١٩١٨ بطولها ولكننا نأبى المجازفة والاعتماد على الصدفة والاتفاق فقد افرطنا في ذلك فيما مضى

« ان الالمان اذا عملوا ان ثباتهم الى آخر سنة ١٩١٨ سيجر لهم النصر يجب علينا نحن ايضاً ان نُكافح طال ثباتهم ساء مصيرهم ولهذا فالصلح بعقد قبل ذلك ونحن الآن مهتمون باتخاذ التدابير لموسم ١٩١٨ قبل فوات الاوان وقد اخذنا نعدُّ ثلاثة ملايين فدان اخر للزراعة ومتى تم لنا ذلك فلا يعود في طاقة احد ان يجوعنا ولو انقطعت جميع الواردات عنا

« ولكن هذه الامور لا تتم لنا الاَّ اذا ساعد الجميع . لكم جرايات معينة فحافظوا عليها ولتكن المساعدة عامة في مطبخ المنزل وفي المصنع وفي خنادق الميدان

« ولو اتخذنا هذه التدابير لتوسيع نطاق الزراعة منذ سنة او سنة ونصف لامنَّا كل خطر على طعامنا ، ويحتمل اننا لم نكن نجد الكفاية من القمح ولكننا كنا نجد الكفاية من القطاني . والشوفان والشعير من الاطعمة المغذية وقد ربيت عليها

الملاحة والواردات

ثم استطرد الكلام الى الملاحة والواردات فقال: ان ما تم في تخفيض الواردات لم يكن كافياً فقد اقتصدنا في السنة الماضية ما زنتهُ مليون ونصف مليون من الواردات ولكننا اتخذنا الآن تدابير اخرى لتخفيض الواردات ستة ملايين طن اخر وسيبلغ مجموع ما نخفضهُ من وارداتنا في آخر الامر اكثر من عشرة ملايين طن في العام من غير ان نضعف صناعة من صناعاتنا الجوهرية

وسنجد حاجتنا من الخشب ونسعى الآن للحصول على معظم المعادن التي نحتاج اليها باستنباطها من مناجم بريطانيا العظمى . ولا يحل شهر اغسطس القادم حتى يزيد مقدار الحديد الذي نستخرجهُ في بلادنا اربعة ملايين طن وسنعدل اتاتين الصهر التي عندنا لهذا الغرض . وليس فيكم من يجهل معنى اقتصاد عشرة ملايين طن في الواردات ولو اقتصدناها منذ سنة لكان لنا في مخازن بلادنا الآن من القمح ما يكفينا عاماً كاملاً

« ان في كندا ٨٠ مليون بشل من القمح كان في طاقتنا ان نجليها الى هنا وكان الواجب علينا ان نأتي بها اما الآن فان عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً منها سترسل الى الولايات المتحدة لعدم وجود سوق اخرى لها فعلينا ان نواصل تخفيض الطعام حتى نقف على اسلوب لقتل مكروب التواصات الذي لوث الاوقيانس

« هذا احد الامور التي يتعين علينا عملها ولكن هنالك اموراً اخرى سواهُ فقد اخذنا ننشئ البواخر واتخذ وزير الملاحة من التدابير ما يمكننا ان نصنع في سنة ١٩١٧ ثلاثة اضعاف بل اربعة اضعاف البواخر الجديدة التي صنعناها في السنة الماضية وتنظم ادارة جميع بواخر البلاد بحيث نجعلها خاضعة لادارة واحدة وسلطة واحدة . وهذه اول مرة حدث فيها هذا الامر . ومعنى ذلك ان بواخر هذه البلاد ستخصص للجوهري الضروري من تجارة هذه البلاد

« ومع ان خسارتنا من البواخر التي تغرقها الغواصات كانت كبيرة حتى الآن ومع ان الخسارة قد تستمر على هذا المنوال فقد نظم وزير الملاحة سير البواخر والسفن تنظيماً يمكنهُ من جعل واردات يوليو القادم اعظم من واردات مارس الماضي

اخلاق الانكليز

« ظن الالمان انهُ قضي علينا ولكنهم جهلوا الجيل الذي يحاربونهُ . فقد اثبت التاريخ ان بلادنا القديمة تعرف كيف تحرز النصر متى شدد الاعداء عليها وسنفوز هذه المرة ايضاً

بالوسائل التي ذكرتها . ان ما اراهُ واعرفهُ من مطالعة تقارير الحكومة اليومية ومن القاء نظرة عامة على الموضوع كلهِ من جميع اطرافهِ يحملني على ان اقول بلا تردد اننا اذا انفذنا بياننا وجرينا على خطتنا وادّى كلٌّ منا الواجب المفروض عليهِ فان حرب الغواصات الالمانية مقضي عليها بالانكسار

« ولكن هذا يقضي على كل فرد من افراد الامّة ان لا يتعدّى الجراية المعينة لهُ وعلى الفلاحين والعمال ان يزرعوا الارض وعلى الصناع والعمال في دور الصنعة والمصانع ان يبذلوا مجهودهم في زيادة ما ينشأ من البواخر والسفن فاذا فعلنا هذا كلهُ بالصدق والاخلاص فليطلع العدو احمض ما عندهُ

« وقد توسعت في البحث في مسألة الغواصات هذه لان الجمهور اهتم بها اهتماماً شديداً ولكن الحكومة عاملة على نشر جميع الارقام لانها تريد ان يعلم الشعب انها لا تكتم شيئاً عنهُ . ان بريطانيا العظمى بلاد لا تخرج خبر ما فيها حتى تقف على اسرأ الاخبار وهذا الحكم يصدق على كل بلاد في اعلها عزيمة واقدام واخلاق راسخة »

الحرب والسياسة والتجارة

ثم بحث في البر التي استخرجها المليون والصناع والجنود والتجارة من الحرب فقال : « ان هذا الانقلاب العظيم الذي عمّ العالم غيّر آراءهم في التجارة وفي صناعاتهم واقول ان مستقبل هذه البلاد يتوقف على مقدار ما تعدُّهُ ساستها من الحرب . وقد سمعت بعض رجال السياسة يقول انهُ متى وضعت الحرب اوزارها فستعود المياه الى مجاريها السابقة وتعود الحال الى ما كانت عليهِ ويستأنف السير في اعمال الحكومة على الاساليب التي كانت عندنا . ان الذين لا يعرفون رجال السياسة يعتقدون انهم من دعاة الثورة ومن اشد غلاة الثورة بل من اشد دعاة الرجعة في الدنيا

« كان لنا قبل الحرب في هذه البلاد خمسة احزاب سياسية كلٌّ منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال وقد تبين للناس الآن انهُ لم يكن بين تلك الاحزاب حزب واحد انفرد بالحكمة او اوتي كل التعقل والحذق السياسي بل تبين للناس ان الاحزاب الخمسة لم تجمع في صدورها كل الحكمة والدراية وادركوا الآن ان في السماء والارض اموراً لا تدخل ضمن دائرة الفلسفة السياسية التي لكل حزب من هذه الاحزاب الخمسة . هذا احد الامور التي انكشفت لنا بنور لهيب الحرب الهائلة

« متى وضعت الحرب اوزارها فاني ارجو واعتقد وابتهل الى الله ان لا نعود الى ما كنا فيه من منازع الاحزاب واساليبها المتيقة وانظمتها التي اكل الدهر عليها وشرب بل نطبق اعمالنا على خير الاساليب التي اظهرتها لنا الحقائق التي كنا نجهلها اتم الجهل قبل الحرب

« تقدمنا في السن والحكمة الف سنة منذ نشبت الحرب الحالية وازدحم اختبار الرجال في بضعة اعوام فاذا نبذنا الاختبار والحكمة والمعرفة التي تعلمناها في الحرب حرصاً على قواعد وضعناها من عهد عاد لم نكن جديرين بالمصير العظيم الذي اعدتهُ العناية للحال الحاضر

« ليس في عمل الامبراطورية البريطانية السياسي ما يحتاج الى التعديل والتنقيح احتياج خطتنا نحو مجموع الامم والشعوب الذي نعبر عنهُ بلفظة الامبراطورية البريطانية فقد كنا فيما مضى ننظر اليهِ كنظرية مجردة ولكن الحرب اثبتت لنا ان الامبراطورية حقيقة مادية وعامل من اعظم العوامل اليوم في دفاع البشر عن الحرية

معنى الامبراطورية

« أرسل الى فرنسا في اغسطس ١٩١٤ مئة الف رجل فنيروا اتجاه تيار التاريخ وقدمت المستعمرات والهند مليون رجل فمدل هذا المدد آراءها في حقيقة الامبراطورية البريطانية وفوائدها . ان العالم لا يسعهُ ان تتفرق هذه الامبراطورية ايدي سبا ولكننا مختبرون بين توثيق عرى الارتباط بين اجزائها وتشتيت شملها تشتيتاً نهائياً

« ان الامور لا يمكن ان تظل حيث كانت . ورب قائل يقول ان العلاقات المبهمة التي كانت بيننا وبين المستعمرات المستقلة وبلاد الهند العظيمة هي التي ادت الى هذا الارتباط الحقيقي . فهذا كلام كان يصح قبل ان بذلت تلك المستعمرات مع الهند البذل العظيم اما الآن فقد اثبتت حقها في الشركة معنا . ستكون قاعدة التعاون بيننا في المستقبل قائمة على مبدإ الشورى الصحيحة فاذا كان قرارنا هذه المرة قد انتب تلك البلدان وكلفها ملايين من نخبة رجالها كما حدث فعلاً فالواجب يقضي علينا بان نستشيرها قبل الاقدام على العمل وان نمم النظر في اساليب ادارة الامبراطورية والعلاقات بين اجزائها . ثم ان الحرب قد لا تكون خير الاوقات للبحث في الانظمة الجديدة ولكن يجب ان تكون امبراطوريتنا حقيقة فعلية ومجالسنا مجالس حقيقية وشاهدي على ذلك مجلس وزارة الحرب الامبراطوري فقد اثبت باعماله قيمة هذه الشورى . ان زملاءنا من المستعمرات والهند لم يشتركوا في مؤتمر رسمي ولكنهم اخذوا قسطاً حقيقياً من مباحثنا وشؤوننا وقراراتنا وكانوا مصدر قوة عظيمة لنا ومنبع حكمة في مفاوضاتنا

« أما نحن هؤلاء المتدوبون بآراء جديدة وعقول مستريحة ونظروا الى حرب العالم من مواقف مختلفة . ولا يخفى عليكم ان العقول اذا سارت في سبيل واحد زمناً طويلاً تصدأ وكلما عظمت هذه العقول تراكم صدأها وكثر خطأها وفي هذه الحالة تبدو الحاجة الى عقول جديدة « لانتشال المركبة من الحفر التي تسقط فيها » وقد اتيح لنا هذه العقول فوضعنا قرارات بعيدة الغور ساعدنا في وضعها زملاؤنا من وراء البحار . وقد بحثنا في امور ومشاكل عظيمة الشأن تتعلق بالغواصات والملاحة والطعام وتناقشنا في قرارات عظيمة الشأن في الامور الحربية شاركونا فيها ولكن يجمل بنا ان نفعل اكثر من ذلك . كشفت لنا هذه الحرب لهمة الامبراطورية فيجب ان يكون في مقدمة مهام رجال الدولة والسياسة في المستقبل اتخاذ ما يلزم من التدابير لترقية الموارد العظيمة التي لنا فنجعل هذا الامر قبلة انظارنا وموضوع فكرنا ونتخذه قاعدة لاعمالنا . ويجب علينا ان نرقي البلدان التي تحقق عليها رأينا . ولو وجهنا عقولنا وقوانا ونفوذنا الى هذا الغرض منذ خمسين سنة لكان عدد سكان المستعمرات المستقلة الآن ضعفي ما هو ولحولنا تيار المهاجرة الى تلك المستعمرات بدلاً من سيرهم الى بلدان اخرى وحولنا اليها ايضاً جانباً من مهاجري شعوب اوربا المتصفين بالرجولية

« لقد استقر قرارنا على ان تعنى الحكومة البريطانية وحكومات المستعمرات في المستقبل بتوثيق عرى الارتباط بين اجزاء الامبراطورية بالتجارة والاخذ والعطاء والعلاقات العمومية في الاعمال والاشغال

« وقد امعنا النظر والبحث في هذه القضية ورأينا ان ترقية تلك المستعمرات الواسعة الاطراف تقضي بتنشيط حاصلات كل جزء من اجزاء الامبراطورية . ومن رأينا ان في حكم الطاقة انشاء نظام من المراعاة والتفضيل لا يقضي بفرض ضرائب على الطعام ونعتقد ان ذلك مستطاع من غير فرض هذه الضرائب اما والطعام قليل وغال الآن فليس الزمان الحالي زمان البحث في زيادة هذا العبء

« ان المراعاة المقصودة تتم من غير فرض رسوم على الطعام فان هناك طرقاً اخرى تؤدي الى هذه الغاية بالجري على الاساليب التي جرت عليها البلدان الاخرى لتحسين المواصلات بين مستعمراتها وبينها بتاح نقل حاصلات جزء من الامبراطورية الى اسواق جزء آخر بسهولة واقتصاد

« ان في الامبراطورية موارد لا تنفى من الثروة والمعادن والطعام والخشب وسائر ما يحتاج اليه البشر فترقية هذه الموارد الى اقصى ما يستطاع مفيد للبلاد التي تنتج الحاصلات

ولسائر انحاء الامبراطورية في جملتها المملكة البريطانية فان هذا يزيد ثروة الامبراطورية كلها و يوثق عرى الاتحاد بينها

مشكلة ارلندا

وتكلم الوزير عن ارلندا فقال : ان الواجب يقضي بجعل هذه الجارة الخطرة المشبعة بالريب والشبهات وسوء الظن والواقفة موقف المعاند صديقة موالية مفعمة بشراً وسروراً هذا اذا شئنا ان تكون امبراطوريتنا قوية وثيقة العرى وسلام العالم وطيد الاركان فان ارلندا هي منبع الخطر الوحيد في افقنا . واذا ناشدتُ الامة البريطانية ان تسوي مشكلة ارلندا فانا افعل ذلك بما اطلع عليه من الحقائق كل ساعة وهو ان الجميع في اميركا واستراليا وسواهما يعتقدون ان تسويتها من اركان النصر المجيد فانا اناشد كل ذي وطنية صادقة ان يغضي عن كل شيء رغبة في حل هذه المشكلة

ولاء الهند

« ويجب علينا ان نوحّد جميع قوانا لكسر شر عدو قاتلناهُ . ولقد كانت الهند منبع اعظم خيبة لآمال المانيا في هذه الحرب مع كثرة الخيبات التي خابتها فيها فقد كان الالمان يتوقعون في الهند الفتن والخيانة والاستياء وعدم الولاء ويعتقدون ان قوة بريطانيا العظمى ستستغرق في قمع هذه الامور في الهند . فاذا وقع حقيقة ؟ ابدت الهند حماسة شديدة وولاء عظيماً و بذلت المعونة للامبراطورية فحق لها ان تطلب الآ يشعر عشرات الملايين التي تقطن فيها انهم جيل محكوم بالامبراطورية بل انهم احد الشركاء فيها فجميع هذه الامور تقتضي ان تكون سياستنا سياسة حزم واقدام

« ان الاحجام والتردد والوهن صفات ممقوتة في السلم ولكنها قتالة في الحرب ولقد قابلت بريطانيا العظمى مشكلة الحرب بشجاعة عجيبة فلنقابل مثلها كل السلم بمثل هذه الشجاعة

« اني اشكر محافظ لندن ومجلس هذه المدينة العظيمة على الشرف الذي اولوني اياهُ وليس على ذلك فقط بل على ما أتيح لي من تشديد عزيمتي برؤيتي رجالاً نقاتلوا فيما مضى وهم يعملون الآن معاً لاعظم الغايات واسماها . فعسى هذا التعاون ان يدوم لا في احراز النصر فقط بل بعد ما تلتئم جروح الحرب في ترميم الخراب الذي احدثتهُ وجني ثمار النصر المجيد »

وقال بعد المأدبة ما نصهُ : لا اريد ان يفهم السامعون انهُ لم يبقَ علينا ما نعمل لان الامور صارت على ما يرام فان هذا احد المصاعب الحقيقية التي تعانيها اذ المبالغة

تولد الذعر ولكن اذا ذكرنا الحقيقة مجردة من كل شيء وقلنا اننا سنخرج فائزين ببذل الهمة والنشاط فقد يقول الواحد «ليبذل غيري اما انا فاني اشترك في الخروج بالفوز». ان الفوز مضمون اذا قام كل منا رجالاً ونساء بنصيبه. لقد تكلمنا عن طرق السياسة المألوفة في ابان الحرب لان الحرب العظيمة كالمرض الشديد اذا أصيب به الواحد تخلى عن جميع اعماله العادية فعلينا ان نوحد قوانا لقتال العدو الهائل الذي يطعننا في صدورنا. وقد تبين لي بالاختبار في اثناء رياستي للوزارة منذ خمسة اشهر ان الحكومة لقيت المعونة من أفراد من جميع الاحزاب. ان الافراد الذين يقدمون في اعتبارهم انتصار الاحزاب على الانتصار في الحرب قليلون ولكن المرء قد لا ينسى وجود الاحزاب. ولا احاول تطبيق هذه النظرية الآن وحسبي ان اقول للذين يعتقدون ان الشعور بوجود الاحزاب قد زال وان في طاقتهم ان يسيروا بسفينة السياسة في بحر امين انهم اذا فتحوا عيونهم ابصروا هنا موجاً خفيفاً ورأوا هناك بعض الصخور وسفسي لاجتناب هذه المواضع اما اذا تبين لنا انها ستعرقل سير سفينة الامة فاعلموا ان في هذه البلاد من التخيرات الفكرية ما يكفي لسفها والسير بالسفينة الى بر الامان

«وما نسى لا تنس أيام الذعر المالي في بدء الحرب ولكن الثقة المالية التي لبريطانيا العظمى فازت وتغلبت مع كل ما تنبأ به المتشائمون مما يناقض ذلك»

وأشار الى الجيش الانكليزي الاصلي فقال: «واني لا زال اذكر الايام السود لما كان ابطالنا مرابطين في خنادقهم المدمرة يحملون في الليل والنهار هزء الالمان وتعييرهم. ان ثبات المشاة البريطانيين امام مدافع نبوليون في احدى معارك ذاك الزمان من أعظم الفصال الخالدة في تاريخ الحروب ولكن سلالة اولئك الجنود ثبتوا امام مدافع أعظم من مدافع نبولبون نهاراً وليلاً أسابيع وأشهراً فلم ينكصوا. وهذه أعظم رواية وردت في تاريخ العالم ان اولئك الابطال لم ينكسروا ولا يستطيع امرؤ ان يحقق ما فعلوه الا اذا سمع اقوالهم ان قصتهم خالدة ونحن مدينون لذلك الرجل القصير القامة الشجاع الذي كان يقودهم في تلك الاشهر السود من غير ان يتولاه الخوف والوجل واعني به اللورد فرنش. ولما تولت تنظيم موارد انكلترا فعلت ذلك لاسكن اولئك الابطال من الحرب واني أحمد الله على ما تم فقد أتيح لم الفرصة للحرب بهمة أصحاب المصانع والعمال. ولا انسى النساء فقد لقاطرن بثبات الالوف الى المصانع وكن يسألن عما يستطعن القيام به لمساعدة اخوتهن الابطال في ميادين القتال. وقد بذلت كل منهن ما في طاقتها فانقلب الامر وتغيرت الحال في تلك الميادين الآن»

مصر منذ أربعمائة سنة

(٥)

المهرجان

قلنا ان اسماعيل باشا عزم ان يصنع مهرجاناً عظيماً لختان ابنهِ ابرهيم بك وكان ذلك في شهر نوفمبر سنة ١٦١٥ وانهُ دعا اليهِ جميع حكام البلاد وعظماءها وامراءها وعلماءها واعلن الاهالي عموماً انهُ يسمح لهم بالاشتراك في هذا الاحتفال مدة عشرة ايام متوالية . وهاك وصف هذا الاحتفال نقلاً عن القنصل دي مالیت قال :

صنع ثلثمائة غلام من ابناء العظماء والعلماء والامراء ان يتطهروا مع ابن الباشا في حفلة الختان . فاقبل الوف من الناس من مصر والريف والصعيد لمشاهدة هذا المهرجان ونصبت المضارب والسرادقات الكبيرة في ساحة الميدان الخارجية والساحة الداخلية واقيمت الزينات البديعة والملاعب والملاهي المختلفة . واشتغل مئات من العمال باقامة معدات الاحتفال مدة شهر كامل . بدأ الاحتفال بسباق الخيل والجمال ولعب السيف و « الحكم » والمصارعات المختلفة وقتال الديكة والثيران مدة ثلاثة ايام في ميدان القلعة الخارجي . واحضر الباشا من دمشق الشام مصارعاً شهيراً يقاتل الثور ويصرعهُ . واحضر كثيرين من الراقصين والبهلوانية الذين يمشون ويرقصون على الحبال في الهواء وبينهم بهلوان شهير نصب لهُ حبل طويل من رأس منارة جامع القلعة الى عمود عالٍ نصب في ساحة الميدان الخارجي وطول الحبل نحو اربعمائة ذراع اسند بحبال متعارضة ليكون متينا . فصعد هذا الرجل الى الحبل من وسط الميدان ومشى عليهِ حتى وصل الى اعلى المنارة على دهشة ورهبة من الناس وكان الباشا وابنهُ مع عظماء البلاد حاضرين هذا المشهد فاجاز اللاعب بجائزة كبيرة

وفي اليوم الثاني ٢٣ نوفمبر اقبل الباشا مع ابنهِ الى الميدان وكان حولهما الاربعة والعشرون اميراً وهم البكاوات الكبار حكام المقاطعات المصرية الاربع والعشرين وكذلك وكلاء المديريات المعروفين بالبكاوات الصغار وعددهم ثمانية واربعون واقبل قواد الجيوش وكبار الاغوات ورؤساء فرق الجنود السيمة يتقدمهم اغوات الانكشارية والمتفرقة والعزبية . واغوات اسطنبول ورتبتهم هنا اعظم من رتبة الامراء . واقبل قاضي القضاة المعروف بقاضي عسكر وحولهُ العلماء وكل اشراف البلاد يتقدمهم اشراف اشرتي البكرية والسادات وهؤلاء من سلالة النبي . ثم اعيان التجار المصريين والافرنج والقناصل وبطرك

النصارى (الاقباط) وبطرك الروم ومطران دير جبل سينا . فعند وصول الباشا وابنهِ الى الميدان اطلقت المدافع من القلعة وقرعت الطبول والصنوج وعزفت الزمور وكان في الميدان الخارجي نحو الفي فارس من فرسان العرب والعرس وفرسان السباق ممتطين الجياد المطهمة من اجود الخيول العربية والمصرية وعليها السروج المثينة الذهبية والفضية وخصوصاً سروج الامراء وكلها مرصعة بالحجارة الكريمة والياقوت والماس واللؤلؤ

وفي وسط هذا الميدان انصب صيوان الباشا وعلى مقربة منهُ صيوان الموسيقيين والطبالين والزمارين . وكان كلما اقبل وفد او ثلة من هؤلاء المدعوين عزفوا وقرعوا الطبول اكراماً لهم . وكان في مقدمة المدعوين رجال القصر واتباع الباشا وحرسهُ وقوادهُ وجندهُ وخدمهُ بعد ان خلع على كل منهم بدلتين جديدتين والبذلة من الخوخ الانكليزي مؤلفة من دامر او جبة قصيرة تحتها سراويل واسع مبطنة بالفرو المسكوبي الثمين ومن قبعة او قاووق على دائرهِ شريط ذهبي عرضهُ اربع اصابع وهو من المخمل او الخوخ الانكليزي . واما الخدم والمماليك والغلمان (الايشوغلان) فسراويلاتهم من القطيفة الحمراء المطرزة حواشيها بالقصب . واما ملابس القواد والاجناد الكبار وعلماء القصر فمن القطيفة الخضراء المطرزة على زي الباشا وجبهم مبطنة بالفرو الغالي الثمن . واثواب الغلمان والخدم واحاشية المخصصين لخدمة ابرهيم بك كانت مبطنة بفرو السمور وسراويلهم مطرزة بالقصب

وكان ابرهيم بك محاطاً باتباعهِ وخدمهِ ومماليكهِ وقوادهِ وحرسهِ ومتردياً بسراويل قصير من الخوخ الابيض البندقي المنسوج بالذهب فوقهُ دامر من المخمل القرمزي المطرز بالقصب الذهبي وعلى دائرهِ شريط مرصع بالحجارة الكريمة فوقهُ جبة او (كرك) من فرو السمور مبطنة بالحرير الاخضر الزاهي وتناميرها منسوج بالذهب ومرصعة كلها بمئات من حبال اللؤلؤ المنضد الكبير الحجم . وهذه الجبة تضم عراها عند العنق بقفل من الذهب الابريز عليهِ جوهرة كبيرة من الماس . وعلى رأسهِ قبعة او قاووق عالٍ من المخمل على لون ثوبهِ مغشى كلهُ باللؤلؤ الثمين تعلوهُ ريشة سوداء غالية الثمن معقودة بجوهرة كبيرة من الماس . وكان يبدل ثيابهُ في اليوم ثلاث مرات او اربعاً على ازياء والوان مختلفة يظهر في كل حفلة بشكل يختلف عن الآخر

وكان صيوانهُ لا يقل عن صيوان ابيهِ زخرفة وفخامةً وزينةً صنع من الدمقس الاحمر وفرش بالطنافس العجمية الثمينة وجدرانهُ مغشاة بالاقمشة الحريرية المنسوجة بالذهب وفي اعلاهُ هلال كبير من ذهب يسطع بهاءً وكذلك المساكن المخصصة لهُ بالقلعة فكلها

مفروشة بالمقاعد الحريرية والطنافس الفاخرة والرياش الثمينة والاواني الذهبية وستائر النوافذ من القماش الرفيع المنسوج بالذهب من صنع اليندقية . واما سرير نومه فتعلو (ديوان) عريض مغطى بقماش المخمل القرمزي اللون المطرز بعروق الذهب من صنع بروسه قائم في وسط مخدع كبير ومزين بانواع الرياش الفاخر يعلو عن الارض وفوقه فراش من الحرير الاخضر عليه ملاءة بيضاء بديعة الزركشة والتطريز من صنع الهند تتدلى من اطرافها السجف الذهبية بعرض اربع اصابع . وهذا السرير الملوكي مغطى بكلة (ناموسية) من التول الثمين من صنع بريس يعلوها هلال من ذهب مرصع تفتح وتضم من الاعلى الى الاسفل بازرار من حجارة كريمة بين زمرد و ياقوت . وحول هذا السرير سريران آخران لا يقلان عنهُ فخامة لبعض الغلمان من اولاد الامراء المختنين رفقاء ابن الباشا لكي يأتنس بهم

ولنصف الآن الملاعب والمآدب التي اقيمت في هذا المهرجان : كان الراقصون نحو مئة شخص ولهم في كل يوم من الايام العشرة ثياب مخصوصة فاخرة بالوان مختلفة وكلها من القماش المنسوج بالذهب وكل من زار استانبول عاصمة السلطنة عاشر الاتراك عرف ميلهم الكثير الى مشاهدة المراقص والملاعب واحيانًا يمثلون في خلال الرقص نوعًا من التمثيل الهزلي اخلاعي والروايات المجونية . ولم ينقطع الرقص والتمثيل ليلاً ولا نهاراً كل مدة المهرجان فكان الراقصون يتناوبون العمل فيما بينهم في صوانين الميدان وفي قاعات القلعة لتسلية الحريم

وكانت تقام في كل يوم المصارعات البدنية والالعاب الرياضية والمبارزات بالسيف والحكم بين المصارعين المشهورين حتى ان ملايك الأمراء اشتركوا في هذه المصارعات واحيانًا كان يشتد القتال فيما بينهم ولولا الباشا وهيبتهُ في قلوبهم لكانوا فتكوا بعضهم ببعض . وكل منهم كان يبدي مقدرتهُ في المبارزة والفروسية في المصارعات والمبارزات ليفوز بالجائزة لان الباشا كان يعطي الفائزين جوائز كبيرة بين نقود واسلحة وحلى وقماش واحيانًا كان يعهد الى ابنهِ برهيم بك في توزيع هذه الجوائز على المصارعين

واما الزينات والانوار فكانت كثيرة فائقة الحد فنصب في الميدان نحو مائة الف مصباح كبير تضيء بانوار ساطعة حتى صار الليل نهاراً وهذه المصابيح منظمة تنظيماً بديعاً بالوان مختلفة وحول الميدان مشاعل كبيرة يتقد فيها خشب الأرز (الشراق) من المساء حتى الصباح فصار كأنهُ شعلة من نار . ومن غرائب هذا المهرجان نخلة باسقة قلعت من الارض

بجذوعها ونقلت الى الميدان وغرست فيه والتفت حولها المصابيح والشموع والانوار كانها شجرة ساطعة وكتب عليها باحرف من نور هذه الكلمات « لا تفوا الاَّ باطفان » وفي هذه الجملة نكتة بديعة اي كما ان النخلة لا تفوا الاَّ بتقليم اغصانها وقطعها هكذا المرء لا يتطهر الاَّ بالطفان . وازاء سرادق الباشا وابنه قوس كبيرة كتب في اعلاها هذه الكلمات على انوار المصابيح « فليكن اسم اسماعيل مجداً واسم ابنه ابرهيم معظماً »

وكانت الاسهم النارية والمفرقعات تطلق في كل ليلة على اشكال بديعة مختلفة وتظهر امام المشاهدين على شكل اشجار وحيوانات من نار تجري بين ارجل الجموع ولم يحدث منها ضرر لاحد . ومن مدهشات المهرجان مركب مصنوع بمهارة عجيبة يسير بقوة آلية في بحيرة الماء ويطلق المفرقعات في الهواء

وكانت ابواب القلعة في اثناء الاحتفال تحت حراسة عدد عظيم من الانكشارية المسلحين وكذلك ميدان الصواوين والمضارب لحفظ النظام وصيانة الامن ووكل الباشا الى اربعة من قواده برتبة « كيخيا » ترتيب المآدب وحفظ النظام بين المدعوين . ورتبة الكيخيا تعادل عندنا رتبة الكولونل في الجيش وتحت امرهم مئات من الخدم وغلمان المماليك

واما المآدب فكانت فخمة عظيمة مدة العشرة الايام لم يسمع بمثلها قط فكانت تذبح فيها يومياً الوف من الخراف والعجول والدجاج والاوز وقسمت الموائد الى ثلاثة اقسام كبيرة فمائدة الباشا يجلس عليها سبعمائة مدعو من العظماء والامراء والعلماء والاعيان ومائدة ابنه يجلس عليها اربعمائة من ابناء هؤلاء العظماء يخدمهم غلمان المماليك والمائدة العمومية للاهالي يجلس عليها ثلاثة آلاف نفس وهذه المائدة اقيمت في قاعات القلعة الكبرى والوليتان الاولیان جعلتا على موائد مستطيلة قصيرة القوائم والوليمة العمومية على حصر مفروشة بالارض وكل مرة توضع على شكل يختلف عما قبله فيوماً مستطيلة و يوماً مربعة و يوماً مثلثة ولقام هذه المآدب مرتبون في اليوم ظهراً ومساء . واما الاطباق والصحون والاواني التي كانت على هذه الموائد فكانت بعد ان تملأ من المأكولات تنضد بعضها فوق بعض على ثمانية او عشرة صفوف حسب اختلاف اشكال الاطعمة فاذ انتهى فوج من الآكلين يخرجون وفي الحال يأتي مئات من الخدم و يرفعون الطباق الفارغة و يضعون غيرها ملآنة كالتي قبلها ثم يدخل الفوج الثاني وهكذا الى ان تنتهي المآدب وفي آخر الجميع يدخل المماليك والخدم فيأكلون

ولرؤساء الجند واتباع الباشا ورجال قصره مائدة خصوصية ايضاً وذلك عدا الموائد التي تقام في داخل منازل الحرم لازواج الباشا ووصيفاتهن وجواريهن وللاغوات . ولم يحرم النساء شيئاً من انواع الملاعب والمراقص والملاهي في ذلك المهرجان فقد خصص الباشا قسماً في داخل القامة لاقامة هذه الملاعب يتفرجن عليها من وراء الستائر والنوافذ

وقد اشترك اهالي مصر عموماً والفقراء خصوصاً في هذه المآدب ونصبت لهم الموائد في ارض الميدان الخارجي وكانت توزع الاطعمة ضمن ارغفة كبيرة على الوف منهم في اليوم مرتين . وبالاجمال بلغ الذين اكلوا على موائد الباشا في مدة هذا الاحتفال عشرة آلاف نفس في كل يوم

وعدا ذلك نصب صيوان كبير عظيم الاتساع في الميدان الخارجي وصفت فيه موائد كثيرة وعليها الآنية والقوارير الكبيرة مملوءة ماء مبرداً معطراً ومشروبات محلاة بالسكر او بعصير القصب وعطر الورد وهناك مئات من الخدم يقدمون لكل طالب وقادم ما يطلب من المشروبات في كل وقت اراد . وبالاجمال اقول ان السلطان مصطفى مع كل محبته وابهته في عاصمة سلطنته لم يكن المهرجان الذي عمله في استانبول عند ختان اولاده اكثر بهجة ورونقاً وفخامةً واسرافاً من هذا المهرجان . فقد بذر فيه الباشا اكياساً كثيرة من المال وكان يوزع النقود والذهب في كل ساعة من ساعات النهار على اللاعبين والراقصين والمصارعين وكان ابرهيم بك يجيز من يقدم له شعراً او زهرةً او دمية نادرة بقبضة من المال وكانت اكياس النقود مرصوفة بجانبه بعضها فوق بعض وكذلك الباشا كانت حوله اكياس كبيرة من النقود الذهبية والفضية تفرغ وتملأ في كل ساعة واحياناً كان يأمر بعض عماليكه فيأخذون الاكياس وينثرون ما فيها من النقود على الجموع فيتزاحمون لالتقاطها

وقد احصى الفلان من ابناء الاهالي الذين حضروا اثناء هذا المهرجان على نفقة الباشا فبلغوا خمسمائة غلام في كل يوم عدا ابناء الامراء والعظماء ولا يقل مجموعهم عن ستة او سبعة آلاف غلام ووزع على كل ولد مختتن قطعة من نقود الذهب ليحفظها تذكاراً عنده وعلى قول المارقين بلغ مجموع ما انفقه الباشا على ختان هؤلاء الفلان نحو خمسين الف ابكوس (الابكوس ريال فضي تعادل قيمته الآن ثلاثة فرنكات)

وفي اليوم الاخير من المهرجان احتفل بختان ابرهيم بك وكان ذلك في اليوم الاول من شهر دلسمير فخرج من القلعة لابساً حلة ثمينة فاخرة وعلى رأسه قاووق فرنزي من لون ثوبه فوقه ريشة طويلة معقودة بجوهرة كبيرة الحجم من الماس تسطع بهاء فركب جواداً مطهماً

كل سرجير وعدته من الذهب الخالص المرصع بالحجارة الكريمة من ماس و ياقوت وفيروز وزمرد وتقدم الموكب جوقة من الزمارين وقارعي الطبول والصنوج وخرج معهُ كل قواد القصر ورجال الباشا وحاشيتهُ واتباعهُ وركب معهُ فرقة من الحرس والانكشارية والفرسان والرماحة يتقدمهم فارس حامل شارة الباشا وطغراءهُ وهي رمح طويل يعلوهُ ذيل جواد معقود عليهِ علم الهلال الاحمر التركي وسار في ركابهِ ايضاً جميع العظماء والامراء واعيان البلاد والحكام وتبعهُ الوف من الجماهير يتفرجون على هذا الموكب الحافل

وركب حول الغلام اربعة من ابناء الامراء بثياب زاهية من الجوخ الاحمر المنسوج بالذهب وامامهم اكياس النقود الذهبية ينثرونها وهم سائرون على الجموع من اليمين واليسار فيتزاحمون و يتقاتلون لالتقاطها ويملأون الفضاء بصراخهم المتواصل داعين لابن الباشا بالخير والبركات وطول العمر

وكان الباشا يتفرج من نافذة قصرهِ بالقلعة على الموكب وهو خارج من الرميلة الى الخلاء بطريق مصر القديمة وفي هذا اليوم لم تبق امرأة في بيتها فكل نساء مصر خرجن وتبعن هذا الموكب وكان الفرح عامًّا شاملاً جميع طبقات الاهالي حتى ان الباشا في هذا اليوم اصدر عفواً عامًّا عن المذنبين والمجرمين واخرجهم من السجون ما عدا القتلة وقطاع الطرق . وأوقف ديون كثيرين من التجار المفلسين المسجونين

وختن مع ابرهيم بك في ذلك اليوم ستة من ابناء الامراء وعشرة من غلمان المماليك رفاقهِ وكان ذلك في جامع اثري قديم بالقرب من مصر القديمة (جامع عمرو) ولما تمت حفلة الختان خرجوا ورجع الموكب الى القلعة . ولما وصل ابرهيم بك ادخل الى قصرهِ ووضع في سريرهِ وجعلت امرأة فاخرة حولهُ للغلمان الذين اختتنوا معهُ لكي يؤانسوهُ . وفي ذلك اليوم وزع الباشا على قوادهِ ورجالهِ قصرهِ مبالغ كبيرة من النقود الذهبية ووهب خدمهُ جوائز مالية وعين معاشات يومية وجرايات لبعض خواصهِ واتباعهِ يقبضونها من الخزينة يوميًّا ما بقوا احياء . ولم تحرم نساء الباشا وصبياتهن وجميع النساء ونساء القصر من الاشتراك في هذا الفرح العام فاقيمت لهن في قسم الحرم المآدب والمراقص والملاهي ووزعت عليهن الهدايا الثمينة والمصوغات ونقود الذهب عن سعة وكرم جاوز الحدود

والعادة عند الشرقيين عمومًا والمصريين خصوصًا انهم عند اقامة حفلات الولادة والزواج والختان او غير ذلك يقبلون الهدايا التي تقدم لهم من المدعوين او الاصدقاء غير

ان الباشا اعلن انهُ لا يقبل من احد ولو كان عظيماً هدية ما ولو قبل لكان جمع من الامراء وعظماء البلاد وحكام المقاطعات هدايا كثيرة من نقود وحلى وامتعة وماكولات مما يسد نفقات هذا الاحتفال التي قد بلغ مجموعها مع ما وزعهُ من النقود نحو الف ومئتي كيس . والكيس تعادل قيمتهُ عندنا خمسمائة ايكوس فجملة النفقات ستماية الف ايكوس (تبلغ قيمتها بحسب النقود الدارجة الآن نحو مليون وثمانمائة الف فرنك او ٧٢ الف جنيه).

فلم يقبل الباشا هدية سوى الهدية التي قدمتها لهُ لكونها تحفة اثرية نادرة ثمينة وهي مرآة مثمنة الزوايا من البلور الحجري الثمين النادر واطارها ومقبضها من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة . وكانت هذه المرآة من امتعة حرم السلطان مصطفى اخرجت من السراي السلطانية في استانبول اثناء الفتنة التي حدثت وخلع فيها هذا السلطان المرة الاخيرة فالتقطت هذه التحفة الثمينة من يد وزير الى يد سفير الى ان وصلت الى يدي فحفظتها كاثر ثمين ورأيت ان اقدمها هدية الى صديقي اسماعيل باشا لمناسبة ختان نجلهِ فقبلها شاكراً وقال لي علناً « اني لم اقبل من احد هدية ما كما تعلم غيرانهُ لا يسعني ان ارفض هديتك الثمينة هذه اكراماً لك يا صديقي الفاضل وتأكد اني اقدرها حق قدرها »

السلطنة المصرية

ان كل السياح الافرنج الذين اموا مصر في ازمنة وعصور مختلفة كتبوا في رحلاتهم عن حدودها وسدنها وثغورها وقواتها واحوالها الداخلية وتجارتها ونقودها وجمارکها واهلها وتعدادهم واجناسهم واوصافهم . فرأيت انهُ فائدةً واسهل تناولاً ان اقسم المقالات التالية الى مواضيع مختلفة فنقلت كل ما قالهُ كل منهم في ذلك الموضوع وجمعت الحوادث التاريخية والغرائب النادرة التي دونها كل منهم في سياحتهِ في باب مخصوص

وهذه اسماء السياح الذين نقلت عنهم واوصافهم وتاريخ رحلاتهم

(١) جيهان تنود . سائح الثاني الجنس فرنسوي الثانية ارسلهُ لويس الثاني عشر ملك فرنسا مخفراً وسكرتيراً لفرنسوى دي بوجيهان ثم انتدب سفيراً مفوضاً مع حاشية كبيرة لدى قانصوه الغوري سلطان مصر سنة ١٥١٢ لتقرير السلام وحل المشاكل التجارية والسياسية وفتح كنائس بيت المقدس . فكتب رحلة مطولة مدققة عن مصر وصور وطبعت في البندقية سنة ١٥٢٠ وفي فرنكفورت سنة ١٥٩٠

(٢) دلاّ فالله . امير روماني من اغنى الاسر النبيلة في رومية تزود بتوصيات من

البابا والامراء الى سفير فرنسا في القسطنطينية وتناصلها في مصر وحلب والقدس وبغداد فحضر اولاً الى القسطنطينية ومكث فيها مدة سنة ضيفاً على سفير فرنسا وكتب عنها وعن سلاطين تركيا ووزرائها واوصاف اهلها ثم حضر الى مصر سنة ١٦١٤ ومكث فيها مدة وجيزة واسهب في وصف القدس و بلاد فلسطين وحلب و بغداد وزار خرائب بابل ونينوى . وفي بغداد تعرّف برجل من اغنياء السريان الارثوذكس هجر من ماردين مسقط رأسه فراراً من ظلم الحكام . وكان لهذا الماردني ابنة بديعة الجمال متحلية بالعلوم والآداب والكمالات تدعى « معاني » فاحبها الامير واقترن بها ولما رجع من سياحته الى رومية توافد الامراء والعظماء والسفراء والكرادلة لتهنئته وكتب رحلة مطولة . ولما سافر من حلب الى بغداد استأجر خمسين جملاً وعوداً حمل امتعته وصناديقه وموّونته يحرسهُ اربعون جندياً مدججون بالاسلحة وكان يشتري التحف والماديات والكتب العربية القديمة و يرسلها الى رومية بطريق القسطنطينية

(٣) سيزار لامبرت . سائح فرنسوي كتب رحلة سنة ١٦٢٧ قصر فيها الكلام على الاسكندرية ومصر وتجارتها ودخلها وخرجها وجمارکها وعلاقاتها التجارية والسياسية مع استانبول و بلاد الافرنج

(٤) جاك البرت . كتب عن مصر واحوالها الداخلية سنة ١٦٣٤

(٥) تفنوت . سائح فرنسوي زار مصر وسوريا وجبل سيناء ولبنان سنة ١٦٣٥ وكتب رحلة مطولة عن العرب والمصريين

(٦) سانتو سيجورلزي . سائح ايطالي كتب عن حالة مصر المالية وعدد مقاطعاتها وخراجها سنة ١٦٣٧

(٧) ڤانسليب . سائح المانيّ المولد فرنسوي التابعية حضر الى مصر سنة ١٦٧٠ وكتب رحلتهُ بامر ملك فرنسا واقام بمصر مدة طويلة وتعلم اللغة العربية ولذلك كانت رحلتهُ اكثر تدقيقاً واقرب الى الحقيقة من غيرها . وعاشر الاهالي واختلط بهم وحدثت بينهُ و بينهم نوادر كثيرة . حضر الى مصر عن طريق سوريا فاقام بحلب ستة شهور ثم ذهب الى دمشق ومكث في صيداء شهرين ثم اعترتهُ الحمّى ولبث طريح الفراش سنة ونصفاً بحمى الربع ولما شفي ركب من صيداء الى دمياط ثم حضر الى مصر وساح في بلاد الصعيد الاعلى وكتب رحلة قصيرة لكنها كثيرة الفائدة

(٨) دي ماليت . قنصل جنرال فرنسا على عهد لويس الرابع عشر (ذكرت رحلته ونشرت صورتهُ في العدد السابق)

(٩) فريدريك دي نوردن . سائح دنماركي من ضباط البحرية كان بارعاً في التصوير والرسم والفنون الحربية حضر الى مصر بامر كريستيان السادس ملك الدنمارك سنة ١٧٣٢ . فاقام فيها مدة طويلة وتعلم اللغة العربية وصور كل الموانع والبلدان والآثار تصويراً متقناً دقيقاً وكتب رحلة مطولة في ثلاثة مجلدات كبيرة رسم فيها كل البلاد المصرية من الاسكندرية الى الشلال في ثلاثين خارطة ووضع فيها كل اسماء القرى والمزيب بحروف عربية . وترجمت رحلتهُ الى الانكليزية سنة ١٧٥٧ والالمانية سنة ١٧٧٩ وتوغل في بلاد النوبة الى ان وصل الى الشلالات ورسمها في خرطته واما النسخة الاصلية من هذه الرحلة مع الواحها وصورها من رسم يد المؤلف فمحفوظة في لندن . ومن قوله في وصف آثار مصر وابنيتها وهندستها وفنونها « ليست آثار رومية شيئاً مذكوراً امام آثار مصر وفخامتها وعظمتها واتقان هندستها . فتخرس اثينا اذا لم ترد ان تعترف صاغرة ان مصر ارقى منها حضارة وعلوماً وانها تملك منها الهندسة والفنون الجميلة . ولا ريب ان المصريين القدماء وصلوا الى درجة عالية في فنون الرسم والهندسة لم يصل اليها الرومان واليونان »

(١٠) بيتوس . سائح فرنسوي زار مصر ولبنان سنة ١٧٢٦ وكتب رحلة قصيرة وصف فيها الثغور السورية وكتب عن اديرة لبنان

(١١) مارسل . كتب في اواخر القرن الثامن عشر كتاباً مستوفياً عن تاريخ مصر القديم والحديث واحوالها الداخلية وكان من اعضاء البعثة الفرنسوية العلمية

(١٢) ادوارد صموئيل من اعضاء الجمعية العلمية الفرنسوية كتب تقريراً مطولاً عن النقود المصرية وعياراتها وقيمتها من عهد الخلفاء الى القرن الثامن عشر

وفي سرائي هذه الكتب ورد ذكر المؤرخين القدماء الذين زاروا مصر وكتبوا عنها وهم بليتوس وهيرودوتس وسترابون واوسابيوس وتاشيتوس وبوسانياس وفيلوستراتوس ولوشيانو وديونيسيوس اليوناني وغيرهم

ديفري تقولا

الجزيرة العظمى

ونجوى صريع

رَتَل العالم في ثوب السرور زمنًا وابتسمت فيه الثغور
وصفت بالسلم اوقاتُ المنى وسرتْ رُوحُ التصافي بيننا
فانا مثلُكَ بل انت انا

لم يكن ثمة صدٌّ ونفور لا ولا الاقفيُ تدلي وتفور
قد تركنا كل ضغنٍ وعداه افرؤا ما ترى او ضعفاه
كلُّنا في نظر العلم سواه

انفسٌ في عالم الحق تنيرْ مُنشئت ارواحها ذرات نورْ
يطايرن على وجه البسيطْ تلك لولاها لما شعَّ المحيطْ
أتقدرها لماذا تستشيطْ

لم تجد من مصلح حرّ غيور يخلاف رأيهُ عقبى الامور
فهو اما طائش لم يعرفِ او خبيثٌ جائرٌ لم ينصف
او سليك لم يجد من يصافي

خانهُ الجدُّ وحفتهُ الشرورْ وعليهِ قلّبَ الدهر يدور
مثلما دارت رحى هذه الحروب واستوت في شرها كلُّ الشعوب
فمن الغرب الى اقصى الجنوب

ومن الشرق شمالاً ستشورْ وهي في البر مجالٌ والبحور
لم تشامد امتها فيما مضى سُخِّرتْ برٌّ وبحراً وفضا
اقضالا في ام فوق القضا

عثرةٌ جاء بها الفكر العثورْ فتجدّاً طوراً واحياناً يفور
تائهًا ضلَّ ولمّا يهتدِ ما رأى فيما رأى من مرشدِ
فغدا في يومهِ مثل غدِ

هائمًا فيهِ حشًى وبكورْ لم يجد للعثرةِ الكبرى غفور
كبرت عثرتهُ من ان تقال وهو قد اوقدها حرباً سجال
انما غفرانها فرضٌ محال

عبراً نقرأ ام تلك سطور ادهشت كل سياسي فكور
كيف لا تذهب في الريب العقول انها موضع شكٍّ وذهول
وقعةُ الغربِ أو اليوم المهول

أترى مرّت قرون ودهور مثلما مرت بنا هذي العصور
كانت الحرب اذا اشتد الكفاحْ بسيوف وقسيٍّ ورماح
ما تعدت غير ذياك السلاح

وهي لا تنفضُ بنياناً ودور ولها متا جزاءٌ وشكور
أترى رمحاً وسيفاً ينتضى ام ترى ناراً وبرقاً اومضا
لا ترى اليوم سلاحاً ابيضا

عاد شيئاً على مر العصور لا تراهُ او ترى اهل القبور
نسيت تلك ولما تذكر انما يذكرُ صنع «موزر»
ما عدا المخترع المبتكر

هكذا جاد بها رب الشعور وبدت سافرة بعد الستور
فغدا في الحرب صوت المدفعِ هاتفاً يا ايها الحصن اركعِ
وانزعي يا نفس او فادّرعي

ليس تحميك قلاع وصخور لا متاريس ولا يعصم سور
لم يكن بعدُ وفاق ووئام فلتطب «لاهاي» في قصر السلام
تنظر العالم مختل النظام

أتبقى كل مختالٍ فخور ان تُرى النفس طماعاً للشرور
او تُرى طامحة فوق البحور تحذوها بدلٌ اللوح جسور
عبرة قد خلقت ام للسبور

انفسٌ ماجت كما ماج الاثير فهي لا تنفكُّ كالجرم المثير
مرة يخفق واخرى يظهرُ وهو يطوى مثلما ينتشرُ
لماذا به لا نعتبرُ

وعلى نسلمُ من فتكِ الغرور فلقد ضاقت وسيعاتُ الصدور
كيف لا تخرج بالضيق النفوس او ما سيّرت الحرب الفروس
أفلا تخشى على الدنيا العروس

حسرات النفس من بعد النفير وذراء النبت من حر الزفير
وتعود الارض قاعاً صفصفاً لا ترى ثمة قصراً مشرفاً
لا ولا اندية او متحفا

اترى تهدمها ايدي الدثور بعد ما شيدت صروحاً وقصور
بنيت كلٌّ بشكل هندسي ما تراءت قبل في اقليدس
وتعالت كالرفيع الاطلس
أبرجٌ ضمت شموساً وبدور فهي كالارض حواليها تدور
لم تقف يوماً عن السير السريع تتحف العالم من كل صنيع
كيف قد فاجأها الخطب الفظيع

فغدت ثابتةً بعد المسير وتلاشت وهي ارسى من ثبير
ودهى العالم شرُّ الفتن فالترى في الارض مثل المدن
قد تساوت في الشقا والمحن
تركتها الحرب في ادهى الامور انما تلك التجارات تبور
اترى كم مختبر او معمل لم يجد ملتجأً للعمل
كيف قد اثّر قطع السبل

وغدا الناس بشرٍّ مستطير شرّعٌ فيهِ غنيٌّ وفقير
من ترى سعّرها حرباً زبون اكلت نيرانها دور الفنون
وهي لم تبقِ فلاحاً وحصون

لم تذرْ فرداً ولا جمعاً غفير لا فتًى كهلاً ولا شيخاً وقور
أكذا تقضي نواميس الاخاء تصبغُ الارض دماء الابرياء
اتقاءً بعد ذيّاك الماء

تلكمُ الحرب او الشر الخطير انتعاش هي بالنوء المطير
فترى القائد في اجنادهِ واعتلى الطيارُ في منطادهِ
وطغى البحريُّ في طرادهِ
سابحاً يلثمُ انواءَ البحور ماضياً في عزمةٍ ما ان تخور

باب المراسلة والمناظرة

قدرأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وابهاناً للهمم وتحبيباً الافذهان ولكنَّ العهدة في ما يدوج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والمظاهر مشتقان من اصل واحد فمناظرك مظاهرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاطك غيرهُ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستقر على المفوَّلة

اكوات العراق

حضرات العلماء اصحاب المقتطف

تحية وسلاماً

و بعد فقد اطلعت على ما كتبهُ الاخ الاديب الشيخ كاظم الدجيلي فسرني كثيراً ما جاء في مقالتهِ من انتقاد بعض مقالتي اكوات العراق التي نشرها المقتطف في العام الفائت وهذا الانتقاد وان كان نشر في غير وقتهِ ولكنهُ قد فبهني الى اشياء لم يكن في امكاني التحري فيها لاني كتبتها بعيداً عن وطني ولم اجد من اسألهُ في هذه البلاد عما يشرح غامض هذه الكلمة ممن لهُ علم تام باحوال العراق — لذلك انا اشكر الشيخ كاظم على تحفتهِ هذه واشكر المقتطف الذي يهتم بنشر الحقائق . وحيث ان حضرة الشيخ لم يصب الحقيقة في جميع ما قالهُ فانا ارد عليهِ ما اخطأ فيهِ مراعياً جانب الاختصار فاقول

(١) جاء في انتقادهِ مقالتي قولهُ : والصحيح ان كلمة كوت لا تستعمل الاَّ في الاماكنة الواقعة فيما بين كوت الامارة والناصرية والفاو لا غير : وهذا ليس بصحيح ولعل الشيخ لم ينظر في المصور الجغرافي فيرى ان (الكويت) التي على ضفة خليج البصرة هي وراء الفاو بعدة عنهُ وتسير السفن الشراعية من الفاو الى الكويت فتقطع المدة في اكثر من ١٢ ساعة وتخر تخراً لا ريثاً ولا عجلاً . ثم انهُ انكر ان تكون كلمة كوت مستعملة في بعض سواحل الهند وفارس وهو انكار لا صحة لهُ لان هذا جاء في مجلة لغة العرب التي كان حضرتهُ مديرها والمجلة المذكورة اثبتتهُ عن مجلة المشرق (٧ : ٤٥٠) فكيف يتكرهذا . واظن حضرتهُ فهم ان قولي — كلمة كوت مشهورة متعارفة في . . نجد . . و بعض بلاد العجم والهند الساحلية — انها مستعملة استعمالها في العراق وهذا نظر غير نافذ وانما اريد

بذلك ان هذه اللفظة منطوقة عندهم ومعروفة في لغتهم وهذا اذا لم يقتنع بهِ حضرتهُ فان في ساحل الهند بعض القرى والبلاد المسماة بهذا الاسم منها البلد (كالى كوت) وهي قريبة من بمبي وتكتب في بعض المصورات الجغرافية (قالى قوط) وهو تصحيف فظيع وهي على ساحل البحر وفي نفس بمبي فرضة اسمها كوت بتدر على ساحل البحر . وازيدهُ هذه المرة ان البلد الكبيرة المشهورة (كوتا) قريبة من قندهار . وعلى مقربة من كشمير قرية اسمها كوت وهناك قرى اخرى و بلاد تسمى بهذا الاسم مضافة ومجردة وفي جزيرة سومطرة بلد (راجا كوت) وفي نجد من جزيرة العرب قرية غير مشهورة اسمها كوت القدونية وفي الهند قرى غير شهيرة اسمها كوت منها واحدة في كياد . فهل لهُ بعد هذا ان ينكر عليَّ وعلى مجلتهِ ما ذكر وليس لهُ الاَّ ان يقول ان استعمالها في هذه الجهات ليس كاستعمالها في العراق الاسفل . ونحن قد تساهل معهُ في هذا القول الاخير ونترك البحث فيهِ الى فرصة اخرى

(٢) ثم قال الكاتب : والصحيح ان الكوت لا يختص بمكان بل قد يبنى الكوت في البرية او على ضفة نهر او شط — هذا ايضاً مخالف لما جاء في مجلتهِ فان العبارة التي اقتبستها المجلة عن المشرق واثبتها في (٣ : ٦٢) تناقض هذا وتأباهُ كل الاباء وهذا يناقض ايضاً قولهُ الآتي : ان الكوت يبنى لجماعة الفلاحين . . . ثم قال و يقابل الكوت الجماعة عند فلاحي اطراف بغداد — قلت الجماعة هي (العزبة) بلغة فلاحي القطر المصري ولم نرَ عزبة او جماعة بنيت في البادية بعيدة عن المياه والنبات بل لا بد ان تبنى على مقربة من الماء والزرع والفلاحون من اشد الناس حاجة الى الاقتراب من المياه التي يكثر وردهم اليها وصدرهم عنها سواء كانت نهراً او بحراً او مستنقعة او غديراً او ينبوعاً او غيرها كترعة وجدول او سيل . ولا بد ان يكون الماء قريباً من عزبتهم او (جماعتهم) والذي جعل اخانا يتوانى في هذه المقالة انهُ رأى بعض الاكوات بنيت في البرية وهذا ظن بعيد لان هذه القرى التي في البوادي المسماة بكوت كانت مؤسسة على مقربة من الماء من جدول او ترعة او اضاة او غيرها ثم ان مجاري الماء تغيرت او نضبت او درست و بقيت الاسماء على مسمياتها المصطلح عليها بعد ما ذهب عنها الماء . ويحمل بنا هنا ان ننقل العبارة التي في مجلة المشرق البيروتية (٧ : ٤٥) والتي نقلها حضرتهُ في حاشية مجلتهِ (٣ : ٦٢) واليك حكاية ما قالت مجلتهُ

« والكوت في لغة اهل العراق وما داناهُ من ديار العرب و بعض العجم والهند البيت المربع المبني بهيئة القلعة او دونهُ تحصيناً يتخذ ملجأ عند الحاجة وحولهُ بضعة بيوت راجعة

الى البيت الاب ولا يطلق عليهِ هذا الاسم الاَّ اذا كان قريباً من الماء مهما كان هذا الماء نهراً او بحراً او بحيرة او مستنقعاً ثم توسعوا فيهِ حتى اطلقوهُ على كل قرية او مدينة كان اول منشاها هذا الكوت او بنيت قريباً من الماء وربما اطلقوها على كل ارض فيها زرع وخصب وجاورت الماء فصبحت بمنزلة الريف عند فصحاء العرب — انتهى المراد منهُ — ومن النظر في شرح كلة ريف يظهر ابطال قول الشيخ كاظم — قال المجد :

الريف ارض فيها زرع وخصب ثم قال والريف ما قارب الماء من ارض العرب (قال الزبيدي والاولى حذف العرب) او حيث يكون الخضر والمياه والزروع وراف البدوي يريف اتاهُ كاراف . فمن هذا يظهر لك صحة ما ذكرناهُ من قبل

(٣) ثم قال : ولا يختص بما وصفهُ الكاتب من أكوات العراق الا كوت الامارة واما غيرهُ فلا — ونسي حضرتهُ كوت الافريجي الذي تبنى فيهِ المراكب ويصلح ما فسد منها ويرأب ما انكسر وتبنى فيهِ الجنائب « الدُوَب » على لغة العراق وهو اكبر محل في العراق لهذا الغرض واين هو من كوت الزين الذي ترسو عندهُ المراكب البحرية الذاهبة والآتية بين العراق والهند والجزيرة

(٤) ثم قال : ويقابل الكوت الجماعة وزن تجارة عند فلاحي اطراف بغداد — مع ان اهل بغداد والبصرة والبلاد الاخرى مشتركون في استعمال كلة (الجماعة) بمعنى (العزبة) واما الكوت عند البصريين فهو البيت الكبير الذي يجمعون فيهِ التمر إبّان (الصِرام) ويوعونهُ في اوعية معروفة عندهم بالكيش (بكاف فارسية) والجلاّت والصناديق والخصاصيف الواحدة خصافة . هذا البيت لا يكون الاَّ لكثير الغنى واسع الاحوال واما الجماعة عندهم فهي مساكن الزراع والعمال ومنازل عيالهم ونسائهم وهي كالعزبة في القطر المصري كما ذكرنا آنفاً ولا نعرف البصريين يستعملون الكوت استعمالاً يوافق ما ذكرهُ الكاتب وهو اليوم في البصرة وكتب هذا النقد فيها فهلاَّ نظر في صحة ما قال وهو اقرب منا الى تناول هذا

هذا ما عنَّ لي اليوم في بعض ما ذكرهُ واستميحهُ عذراً إن كنت اخطأت في الباقي فاني لم اتعمد الخطاء والانسان قد يخطئ وقد يصيب والعيب من قل خطاؤهُ وكثر صوبهُ واختم قولي هذا باهدائهِ تحياتي على بعد ما بيني وبينهُ واذكرها لهُ على لسان المتلطف الاغر

محمد اماشي البغدادي

استدراك

جاء في مقتطف ابريل : ٣٨٢ هذه العبارة (ومن الآثار الباقية معسكر ابي جعفر المنصور شرقي الرصافة) وصوابهُ ان تكون العبارة هكذا (ومن الآثار الباقية معسكر ابي عبد الله محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور) ولذلك وجب التنبيه م . ه . ب

ايضاح

سيدي منشئ المقتطف

بعد التحية قرأت في مقتطف ابريل سنة ١٩١٧ تبذة عنوانها مثل من طول الاعمار جاء فيها — وذلك بعد مجاوزته العقد الثامن اي ضمن السن التي صاح فيها الشاعر معتذراً عن كلال حد حياته ونضوب معين قريحته فقال

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

واذا سمحتم لي بابداء ملحوظة على هذا شكرت لكم سعة الصدر . ان هذا الشاعر وهو سُحَيم بن وَثيل بن أُعيفِر بن حميرى ابن رياح الرياحي قد اراد من بيته عكس ما اليه قصدتم وهو قوة حد المخيلة وغزارة معين القريحة وبين ذلك من سبب قوله القصيدة ومن القصيدة نفسها

ارسل الى سحيم رجلان من بني رياح بهذا البيت

فان يُدَامتي وجراء حولي لقد شق على العظم المرون

يعرّضان بسحيم بانهُ لا يبلغ غايتها لكبره وعجزه فارسل اليهما بكتبه وفي

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني
وان مكانا من حميرٍ مكانُ الليث من وسط العرين
واني لن يعود الي قرني غداة الغبّ الا في قرين
بذي لبد يصُد الركبُ عنهُ ولا توّاق فريستهُ لحين
عذرت البزل ان هي خاطرتني فما بالي وبال ابني لبُرْن
وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين
اخو خمسين مجتمع أشُدّي ونجّذني مداورة الشؤون
فان علاتي وجراء حولي لقد شق على الضرّع الطحون

كريم الخال من سلفيْ رياح كنصل السيف وضاح الجبين
متى احلل الى قطن وزيد وسلمى تكثر الاصوات دوني
وهام متى احلل اليهِ محل الليث سيف عيص امين
ألفت الجانبين بهِ اسود منظمة باصلاب الجفون
وان قناتنا مَشِط شظاها شديد مدها عنق القرين

صحيح يريد ان يقابل تعريض ابن عمهِ بهِ فافتخر ولم يَتَعَفَّفْ — افتخر بنسبهِ وانهُ في مجبوبة آل حميري . وافتخر بشدتهِ وصلابة متنهِ وانهُ انما يعذر البزّل عند المطار . ثم افتخر بحدة القريحة واجتماع الفكر وانهُ لا يؤتى من غفلة

روى صاحب لسان العرب البيت

وماذا تدّري الشعراء مني وقال تدري تفتعل من درى الصيد اذا ختلهُ وهذا قريب من قول الشاعر

كيف يرجون سقاطي بعدما جلل الرأس مشيبٌ وصلع

وقد فسر صحيح مرادهُ واوضحهُ بقولهِ

اخو خمسين مجتمع اشدي ونجذني مداورة الشؤون

واجتماع الاشد عبارة عن كمال القوى في البدن والعقل — والتجيذ التهذيب قال في الصحاح ورجل نجذ اي مجرب احكمتهُ الامور وهو من الناجذ آخر الاضراس والمداورة المعالجة والمزاولة — فترون انهُ يريد وصف نفسهِ بتمام الشدة واجتماع الفكر — ثم اوضح الرد على ابن عمهِ بقولهِ

فان علالتي وجراء حولي لقوشق على الضّرع الظّنون .

والعلالة بقية جرى الفرس والضّرع الضعيف والظّنون الضعيف والقليل الحيلة

ارجو ان اكون قد اديت واجباً للمتعفف الاغر وارجو ان تقبلوا فائق احترامي

محمد الخضري

[المقتطف] نشكر فضلكم على ما انعمتم المقتطف بهِ ولكننا لا نزال نرى غموضاً في البيت اذا لم يكن مراد الشاعر ان من بلغ الاربعين يضعف عادةً او ليس الاولى ان يقال انهُ سلّم بهذه القاعدة وهي ان في الكبر عجزاً ثم استثنى نفسهُ منها ولو بلغ الخمسين ليكون ذلك ادعى لافتخارهِ لاسيما وانهُ حاول تأييد تجلدهِ بذكر نسبهِ وحنكتهِ كأنهُ قال « انا رجل من قوم اشداء معتادين معارك الدهر فلا يضعفنا كبر السن كما يضعف غيرنا ولو جاوزنا

حد الاربعين او الخمسين» ولكننا لا نتشبث بهذا التعليل بل نود ان نقف على رأي اكثر من واحد من اساطين اللغة مثل حضرتكم . ثم ان صحة هذا التعليل لا تصلح ما قيل من ان الشاعر اعتذر عن كلال حد مخيلته ونضوب معين قريحته لان القرينة التي اوردتموها لا تدل على ذلك فلكم الشكر على كل حال

الباب الرابع عشر

علف المواشي والدواب

ان اكثر الفلاحين في هذا القطر لا يُعنى العناية اللازمة بتقديم العلف الى مواشيه ودوابه بل يطعمها ما تصل اليه يدهُ من الربيع والتبن والحبوب ولكن اصحاب الوسايا لا يكتفون بذلك بل يقدمون الى مواشيهم مقداراً محدوداً من العلف اليابس بعد ان تنقطع عن البرسيم والدريس وهذه هي القاعدة المرعية عندهم

للثور الشغال	٤	اقداح من الفول المدشوش و ٨ اقات من التبن
« البطال	٢	« « « « « و ٨ « « «
للبقرة الحلوب	٢	« « « « « و ٥ « « «
للعجل	٢	« « « « « و ٥ « « «
للجاموسة الحلوب	١	« « « « « و ٦ « « «
للجمل	٤	« « « « « و ٥ « « «
للحمار	١	« « الحلص « و ٤ « « «
للحصان	٤	اقداح من الشعير « و ٤ « « «

وفي القطر المصري مواد اخرى لعلف المواشي غير الفول وهي كسب بزر القطن وكسب بزر الكتان او بزر الكتان نفسهُ ويحسن الاعتماد عليها اذا قلَّ الفول فلم يكفِ لعلف المواشي او اذا غلا ثمنهُ لكثرة الطلب عليهِ من الخارج . فاهالي صوريا مثلاً يعلفون المواشي كرسنة وجزة وهي بعر دود الحرير وفضلات ورق التوت الذي يأكلهُ . واهالي اوربا يعلفون مواشيهم حبوباً مختلفة فوق العشب الاخضر واليابس الذين يقومان مقام

البرسيم والدريس عندنا . ومن هذه الحبوب كسب فول الصويا وكسب بزر القطن المقشور وكسب بزر الكتان . وهاك ثمن الطن من هذه المواد كما كان في بلاد الانكليز في شهر فبراير الماضي وما في الطن من الغذاء الذي تهضمهُ المواشي وتستفيد منهُ

اسم العلف	مقدار الغذاء فيهِ	سعر الطن	شلن	جنيه
كسب بزر الصويا	١٢٢	«	١٥	١٧
كسب بزر القطن المقشور	١٢٦	«	٠٠	١٨
كسب بزر الكتان الهندي	١٢٣	«	٠٠	١٨
« « « الانكليزي	١٢٠	«	١٥	١٩
« « القطن الهندي	٠٦٥	«	١٧	١٤
« « « المصري	٠٧١	«	١٥	١٥
« الفول السوداني	١٤٥	«	١٥	١٩
الفول الانكليزي	٠٩٩	«	١٤	١٧
الفول الصيني	١٠١	«	١٩	١٧
الذرة الاميركانية	٠٩٤	«	١٧	١٥
الشعير الانكليزي	٠٨٣	«	٠٤	١٨
نخالة القمح	٠٧٧	«	١٥	١٣
بزر الكتان نفسهُ	١٥٤	«	١٠	٢٨
بزر القطن المصري نفسهُ	١٠٩	«		١٩

بحث في البرسيم

البرسيم أهم نباتات العلف في القطر المصري وقد وقفنا على بحث مستفيض فيهِ للمستر هيوز كيماوي وزارة الزراعة فاقتطفنا منهُ الفوائد التالية وهي مبنية على البرسيم الذي زرع في حقل التجارب الزراعية في الجيزة

(١) ان وزن الحشة الاولى من غدان البرسيم يختلف من ١٤١ قنطاراً الى ١٥٢ قنطاراً ووزن الحشة الثانية من ١٩٦ قنطارا الى ٢٤٠ قنطاراً

(٢) ان مقدار الماء في البرسيم كثير جداً وهو في الحشة الاولى يختلف من ٨٤ وستة اعشار في المئة الى ٨٥ وعشرين في المئة ومتوسطهُ ٨٤ وتسعة اعشار في المئة وفي الحشة الثانية

يختلف ايضاً ومتوسطه ٨٤ واربعة اعشار في المئة اي ان الماء اقل في الحشة الثانية منهُ في الاولى

(٣) ان الماء يقل في البرسيم شهراً بعد شهر كما ظهر من الامتحان في البرسيم الذي يزرع في ضواحي العاصمة فهو في برسيم ٢٥ نوفمبر ٨٨ وثمانية اعشار في المئة وفي برسيم ٢٧ دسمبر ٨٧ وعشر في المئة وفي برسيم ٢٨ مارس ٨٣ واربعة اعشار في المئة وفي برسيم ٥ مايو ٨٠ في المئة . اي ان المادة الجامدة في الاول ١١ وعشران في المئة وفي الثاني ١٢ وتسعة اعشار في الثالث ١٧ وستة اعشار وفي الرابع ٢٠ في المئة

(٤) اذا صار البرسيم دريساً لم يبقَ من مائهِ الاَّ ١٠ الى ١٥ في المئة وذلك يختلف باختلاف الوقت الذي يقطع فيهِ كما سيجيء

تحليل المواد الجامدة في البرسيم

	٢٥ نوفمبر	٢٧ دسمبر	٢٨ مارس	٥ مايو
دهن وشمع الخ	٣٫٦ في المئة	٣٫١ في المئة	٣٫٤ في المئة	٣٫٠ في المئة
الياف لا تهضم	٢٥٫٠ «	٢٥٫٦ «	١٨٫٧ «	٢١٫٠ «
كربوهيدرات ذوابة	٣٧٫٣ «	٤٤٫٩ «	٥٠٫٦ «	٤٦٫٥ «
بروتيدات	١٦٫١ «	١٠٫١ «	١٤٫٨ «	١٧٫٥ «
اميدات	٢٫٧ «	٣٫٩ «	٠٫٦ «	١٫٠ «
رماد	١٥٫٣ «	١٢٫٤ «	١١٫٩ «	١١٫٠ «
والجملة	١٠٠٫٠ «	١٠٠٫٠ «	١٠٠٫٠ «	١٠٠٫٠ «

تحليل المواد الجامدة في الدريس

	الحشة الاولى	الحشة الثانية	بالزهر	قبل التزهير
الياف	٢٠٫٢ في المئة	٢٥٫٦ في المئة	٣٠٫١ في المئة	٢٥٫٩ في المئة
كربوهيدرات ذوابة	٤٩٫٤ «	٤٩٫٣ «	٤٨٫١ «	٥١٫٩ «
بروتيدات	١٢٫٩ «	١٣٫٠ «	١٠٫٣ «	١٠٫٣ «
اميدات	١٫٩ «	٢٫٤ «	٢٫٣ «	١٫٥ «
رماد	١١٫٦ «	٩٫٧ «	٩٫٢ «	١٠٫٢ «

ويمكن تلخيص ما تقدم في ان كل الف رطل من البرسيم فيها ٨٤٦ رطلاً من الماء

و ١٥٤ رطلاً من المواد الجامدة وان نحو ستين في المئة من هذه المواد الجامدة مغذٍ اي في كل الف رطل من البرسيم نحو ٩٢ رطلاً من الغذاء

وان كل الف رطل من الدريس فيها ١٣٨ رطلاً من الماء و ٨٦٢ رطلاً من المواد الجامدة اي ان الطن من الدرس يقوم مقام ستة اطنان من البرسيم او ان ستة اطنان من البرسيم يحصل منها طن واحد من الدريس. وقد تقدم ان الحشة الواحدة من البرسيم تزن نحو تسعة اطنان فاذا جففت حتى صارت دريساً بلغ وزنها نحو طن ونصف ولكن لما كان الدريس يصنع من الحشة الاخيرة وهي قليلة المائية فلا يبعد ان يبلغ وزن دريسها طنين او اكثر

غلة الحبوب

قدرت غلة القمح والذرة والشعير وسائر الحبوب في فرنسا وانكلترا وايطاليا واسبانيا والدنمارك وهولندا وتروج ورومانيا وروسيا اور با وسو يسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان ومصر وتونس والجزائر فكانت كما يأتي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥	
القمح	٤٨٣ ٠٠٠ ٠٠٠ اردب	٦٣٩ ٨٩٣ ٠٠٠ اردب	النقص ٢٤,٥ في المئة
الذرة	٤٩٧ ١١٩ ٠٠٠ «	٥٧٤ ٢٣٩ ٠٠٠ «	« ١٣,٤ « «
الشعير	١٥٩ ١٧٥ ٠٠٠ «	٢١٣ ٠١٨ ٠٠٠ «	« ٨,١ « «
الراي	١٧٦ ٧١٢ ٠٠٠ «	١٨٦ ٦٠٧ ٠٠٠ «	« ٥,٣ « «
الاوت	٥ ٤٦٠ ٦٠٠ «	٥٧١ ٣٣٣ ٠٠٠ «	« ١٢,٩ « «

وكان النقص اكثر من ذلك في بلاد الارجنتين كما ترى في الجدول التالي

	سنة ١٩١٦	سنة ١٩١٥
القمح	١٣ ١٢٥ ٠٠٠ اردب	٣٢ ٣٤٠ ٠٠٠ اردب
الذرة	١٠ ٢٠٠ ٠٠٠ «	٢٧ ٩٠٠ ٠٠٠ «
الاوت	٥٠ ٠١٠ ٠٠٠ «	٨٨٢ ٠٠٠ «
بزر الكتان	١٠٢ ٠٠٠ طن	٩٩٨ ٠٠٠ طن

فنقص غلة الحبوب في البلدان المذكورة آنفاً كبير جداً يبلغ نحو ٢٠ في المئة ونقص بزر الكتان في بلاد الارجنتين لا مثيل له فمن نحو مليون طن بلغ نحو مئة الف طن اي بنقص نحو تسعة اعشار

باب تدبير المنزل

قد افردنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

قبض الامعاء

نريد بقبض الامعاء هنا القبض المستحكم على بعض الاجسام استحكام العادات لا المصاحب لبعض الامراض او التذير بها ولا الحادث عن أكل مواد قابضة . ويمكن تعريفهُ بانهُ بلادة تصيب الامعاء فيقلُّ ميل صاحبها الى قضاء حاجتهِ في اوقات منتظمة . ويكاد الاطباء يكونون مجمعين على القول ان جسم الرجل البالغ الصحيح يقضي حاجتهُ مرة في كل يوم . على ان من الناس من يتغوط مرتين في اليوم ومنهم من يفعل ذلك مرة في يومين او ثلاثة وتكون هذه الحالة طبيعية فيهم . واذا صحَّ مذهب متشيكوف وانصارهُ من ان الامعاء بيت الداء وان طول العمر او قصرهُ متوطان بصحتها او علتها ظهر للقارىء اهمية هذا الموضوع

اما اسباب القبض فمديد . ففي حالات كثيرة يكون ناشئًا عن العادة اي انهُ ينجم عن الاهمال منذ ايام الصغر . ولكن السبب الاكبر فيما نرى كثرة مشاغل المدنية الحاضرة بحيث لا يبقى للمرء وقت للاهتمام بامر طعامهِ ولا فرصة لقضاء حاجتهِ وخصوصًا في الصباح . وقد يزاد اذى القبض بكثرة استعمال الادوية المسهلة والملينة والحقن واهمال العناية بنوع الطعام وبالرياضة التي تعدُّ من افضل الوسائل لتسهيل حركة الامعاء ومنع قبضها . اما الطعام فالواجب في اختياره مراعاة هذه المبدإ وهو ان يكون خاويًا لمواد تترك في الامعاء بقية جامدة تكون مشبهًا لجدران الامعاء على الحركة والعمل وطائعًا للبلادة والكسل كالخبز الاسمر والخضر والاثمار . ولكن الاطعمة الشديدة الجفاف تساعد على القبض وكذلك يساعد عليهِ كثرة افراز العرق من الجسم والتغير الفجائي في نوع المأكل والمشرب ومواعيدها والتخمة بعد التجمّن . ففي هذه الحالة الاخيرة يرتخي جدار الامعاء فيشتد القبض

ومن الامراض ما يساعد على القبض كالبول السكري وغيره من الامراض التي

يصحبها بلادة الكبد وقلة افراز الصفراء ومعلوم ان الصفراء مفرز طبيعي غايتهُ تنبيه الامعاء على العمل وكالبواسير وتضيق الامعاء من بثور تظهر عليها او غير ذلك . فان هذه جميعها تحدث المًا لصاحبها عند التغوط فيؤجلهُ كلما حانت ساعتهُ

والناس على اختلاف في قدرتهم على احتمال عواقب القبض . فمنهم من يتركهُ وشأنهُ ويحمل عواقبهُ الوخيمة الى ما لا حدّ لهُ من غير ان ينالهُ اذًى يذكر في حين ان غيرهم يشعرون بتعب كثير اذا مرّ يوم واحد ولم يقضوا حاجتهم . وهذا التعب ينجم في الاكثر عن امتصاص الجسم لبعض المواد المتخلفة في الامعاء وجريانها مع الدورة الدموية فيعقب ذلك بعض الاعراض المعروفة كالصداع وسرعة الانفعال والاغتمام وضعف الهمة وكراهة النفس واكتساء اللسان بغروة بيضاء . ويكاد المرض المعروف باسم كلوروسز اي المرض الاخضر — وهو نوع من الانيميا او فقر الدم — يكون مصحوبًا بالقبض على الدوام ان لم يكن مسببًا عنهُ . وغنيٌّ عن القول ان القبض يعرّض اصحابهُ لالتهاب الزائدة الدودية كما هو مشهور . وقد يفضي القبض احيانًا كثيرة الى المغص اما البواسير فكثيراً ما تحدث من اهمال امر الامعاء فاذا جاءت زادت القبض شدة واستحكامًا لما تقدم من الاسباب

ولنأتِ الآن الى علاج القبض فنقول . ان المصابين بالقبض احوج في غالب الاحيان الى اصلاح طرق معيشتهم منهم الى الدواء كما هو الحال في كثير من الامراض . واذا احتاجوا الى الدواء فان احتياجهم اليهِ يكون وقتيًا والغالب ان يكون ذلك في بدء معالجة القبض . اما اصلاح طرق المعيشة فيتناول اولاً تعويد المرء نفسهُ التخلّف لقضاء حاجتهِ كلّ يوم في ساعة معينة سواء لفى حاجتهُ ام لم يقضها . واحسن الساعات لذلك في الصباح بعد « الفطور » . ويحسن قبل ذلك ان يتمشى المصاب بالقبض بضع دقائق وليكن دوسهُ الارض سريعًا شديدًا او يتروض بركوب الخيل او بلعب الجمنستيك او غير ذلك من الرياضة العنيفة والذين لا يطيقون ذلك اما لكبر سنّهم او لشدة سمنهم يحسن بهم ان يلجأوا الى دلك البطن باليد من اليمين الى الشمال تبعًا لحركة عقارب الساعة

وثانيًا اكل اشياء معينة مع كل وجبة وهذه الاشياء هي الخبز الاسمر والفواكه والخضر غير المطبوخة كالتي تصنع منها السلطة . فاذا خيف ان يفضي اكلها الى عسر هضم او الى الاصابة بمرض فلتؤكل الخضر والبقول مطبوخة جيداً

وثالثاً كثرة شرب السوائل . ومن افضل الطرق لذلك ان يشرب المصاب بالقبض كاس ماء بارد وهو يلبس ملابسهُ صباحاً وليكن شربهُ الماء ارتشافاً . وليشرب شيئاً مع الطعام ايضاً والماء العادي بقي بالمراد في الغالب بشرط ان لا يكون شديد القساوة . والمراد بالماء القاسي الماء الذي يحدي شيئاً من املاح الكلسيوم او المغنيز يوم وعلامتهُ ان الصابون لا يُرغي فيهِ بسهولة . وليجتنب شرب اللبن في خلال الاكل فانهُ عجلة للقبض . وليشرب الشاي والقهوة اذا شاء ولكن ليشربهما خفيفين والشاي الصيني افضل من شاي الهند وسيلان لانهُ اقل احتواء على المواد القابضة منهما

والاطباء يصفون للقبض صنوفاً من الدواء ولكن خير ما يعالج بهِ اذا بات متمكناً للجسم قلك العادة شرب المياه المعدنية واسوغها شرباً الماء الذي فيهِ كبريتات الصودا . وطريقة شربهِ تختلف باختلاف الاشخاص ولكن من الطارق المستحسنة ان يؤخذ ملء ملعقة صغيرة من الكبريتات او اكثر ويحل في نصف كاس ماء ويرتشف صباحاً

وافضل الملينات النباتية الساذكي والصبر والكسكارا والاول الطفها فعلاً . ومن افضل الطرق لاعدادهِ ان تنقل بعض حبات منهُ مع الاثمار المقددة والسكر وتؤكل الثلاثة بعد نزع هذه الحبوب منها . واذا طبخ التين بالسكر سواء كان اخضر ام مقدداً واكل لين الامعاء . والكسكارا اقوى من الساذكي وهي مقوية للجدار البطني . والصبر يصنع منهُ كثير من المستحضرات « الجاهزة » المختصة بتليين الامعاء وازالة القبض . واحسن وصفاتهِ قمحتان منهُ و ½ قمحة من خلاصة جوزة القيء و ½ قمحة من البلادونا تؤخذ عند النوم

وفي معالجة القبض الحاد المستعصي تؤخذ شربة زيت خروع . وقد وجدنا بالاختبار ان مزج زيت الخروع بشيء من القهوة الثقيلة الحلوة افضل الوسائل لاخفاء طعمهِ . ولكن يجب ان يقلل اعطاؤهُ للاولاد ما امكن لما هو معروف من اشتداد القبض بعدهُ . ويصفون لعلاج قبض الاولاد الذين جاوزوا سن الطفولة معجون الكبريت يؤخذ منهُ نصف ملعقة صغيرة الى ملعقة . ولا يجوز ان يعطوا الادوية التي يكثر فيها السكر لانهُ يخمر في المعدة فيولد التطبل وعسر الهضم . ومن الاغلاط الشائعة ان يقتصر في طعام الاطفال بعد الفطام على المواد النشوية والسكرية . ولا بأس من اطعامهم شيئاً من الخبز ولحم الدجاج والسمك والصافي والخضر المطبوخة والاثمار ولكن باعتدال كثير كما لا يخفى

اللعاب ومضغ الطعام

يحتوي الخبز على نشا وغلوتن وبعض الاملاح . والغلوتن في الدقيق « المنظف » اقل منهُ في غير المنظف فلذلك كان الدقيق الذي لم يبالغ في تنظيفهِ افضل من غيرهِ لعمل الخبز لاحتوائهِ على كثير من الغلوتن وبعض النخالة . واذ زادت النخالة في الخبز على قدر معين بات الخبز عسر الهضم على المعدة الضعيفة او التي لم تعتد هضمهُ . ولا بدَّ لتسهيل هضم الخبز من امتزاجهِ باللعاب عند المضغ فلذلك يوصي الاطباء ضعاف المعدة والمصابين بعسر الهضم ان يجأروا في مضغهم فمن الجهة الواحدة تمتزج اللقمة باللعاب جيداً ومن الجهة الاخرى تسحق تمام السحق وكلا الامرين يهونان على المعدة عملها وبناء على ذلك يخمرون العجين بالخميرة او ما يقوم مقامها او بادخال الهواء اليهِ بواسطة آلية خاصة بذلك كما يصنعون بالخبز المسمَّى « بالخبز المهوَّى » فان ذلك كلهُ يكثر مسامهُ فيسهل على اللعاب تخللهُ

والخبز الباقت اسهل انهضاماً من الجديد لانهُ اجف منهُ فلذلك يمتص مقداراً اكثر من اللعاب . وكلما زاد جفافاً صار هضمهُ اسهل كما في اصناف البسكويت المختلفة . ولا تسطيع معدة الطفل هضم الخبز قبل تمام نصف السنة الاولى من عمرهِ لان لعابهُ لا يفرز قبل ذلك

ومن المعروف طبيًّا ان اللعاب يحوِّل بعض النشا الذي في الخبز وغيرهِ من الاطعمة النشوية الى سكر سهل الهضم او ما يسمونهُ « مالتوز » وهذا ايضاً بعض السبب في وجوب العناية بهضم الطعام جيداً

زيت الخروع

زيت الخروع اسلم المسهلات عاقبة ولكن كراهة طعمهِ تجعل المريض يعافهُ ولو تأكد ان فيهِ الشفاء . وقد وصفوا طرقاً شتى لاخفاء طعمهِ منها ما اشرنا اليهِ في نبذة سابقة وهو شربهُ مع القهوة ومنها شربهُ مع الشاي او اللبن او ماء الانيسون الى غير ذلك فكانت النتيجة في غالب الاحيان ان يعاف شارب المسهل هذه المواد طول عمرهِ كما يعاف الزيت نفسهُ . وقد رأينا في بعض الكتب الطبية وصفة خلاصتها ان يشرب الزيت مع اللبن بعد تسخينهما ووضع شيء من الملح على اللسان ثم ينظف الفم بمضغ حبة زبيب . و يفضل مع الكبار استبدال اللبن بشيء من العرقي او الكونياك او غيرهما من المشروبات الروحية

ولا يزال زيت الخروع اعصى على الطيب من العالج فلا يزيل طعمهُ الاَّ شربهُ في الكبسول . ولكن الاكثرين لا يستطيعون بلع الحبوب مهما صغر حجمها فما بالك بالكبسولة الكبيرة

الغلاء والاقتصاد

يشكو الناس من غلاء الاسعار في كل البلدان . ولهذا الغلاء سببان الاول كثرة النقود بين ايدي الناس لان تداولها زاد كثيراً بسبب الحرب اي بسبب كثرة الاخذ والعطاء التي اوجبتها الحرب والثاني نقص الحاصلات الزراعية في اكثر البلدان

لكن الحاجة تفتق الحيلة فاذا قلَّ الزاد وجب الاقتصاد فيهِ والاقتصاد واجب اذا لم يضر فاذا كان امام ربة البيت نوعان من الطعام احدهما غالٍ والآخر رخيص وكانا متساويين في مقدار ما فيهما من الغذاء سهل عليها الاقتصاد باختيار الطعام الرخيص وهذا يفعلهُ كل النساء المدبرات . ولحسن الحظ لا تجد غلاء المأكولات ورخصها متناسبين لكثرة غذائها وقلتهِ بل الغالب ان يكون الطعام الغالي اقل غذاء من الطعام الرخيص

اطلعنا في الجزء الاخير من مجلة العلم الاميركية على خطبة للاستاذ غرام لـك القاها في جمعية الاقتصاد المنزلي باميركا في ٢٣ مارس الماضي ذكر فيها الطعام الذي يستطيع بيت فيهِ رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد ان يعتمدوا عليهِ فتبلغ نفقتهم في اليوم ٢٣ غرشاً فقط مع ان الرجل يعمل اعمالاً شاقة وزوجتهُ تقوم بكل اعمال البيت . واسعار الحاجيات زادت اميركا نحو سبعين في المئة عما كانت عليهِ في العام الماضي وهاك خلاصة ما اشار بهِ

طعام الفطور

عصيدة من دقيق الذرة مع قليل من اللبن للاطفال او من عسل الذرة للبالغين . خبز . زبدة صناعية . قهوة للبالغين

طعام الغداء

فول مطبوخ بقليل من اللحم الكثير الدهن . خبز . زبدة صناعية . شاي وسكر ولبن للبالغين . لبن للصغار . موز مطبوخ بسكر

طعام العشاء

شوربة عدس . رز مسلوق او مكرونة . صالصة طماطم . خبز . زبدة صناعية . شاي للبالغين . لبن للصغار . مربى التفاح وجبن للبالغين

وهاك اثمان هذه الاطعمة في اميركا

البن	٢٨ درهماً	٦ مليمات	سكر	¼ رطل	٤ مليمات
الشاي	٦ دراهم	٤ مليمات	رز او مكروني	١ »	١٦ مليماً
اللبن	٦ ارطال	٥٤ مليماً	فول	١٢٠ درهماً	١٤ مليماً
الخبز	٢ رطلان	١٨ مليماً	لحم مدهن او دهن	½ رطل	١٢ مليماً
حبوب	½ رطل	٨ مليمات	اثمان متفرقة	١ »	٢٤ مليماً
زبدة صناعية	¾ الرطل	٣٨ مليم	دقيق وسمن لعمل الحلو		٣٠ مليماً
شراب الذرة	½ رطل	٤ مليمات	والجملة		٢٣٣ مليماً

واللحم المدهن رخيص في اميركا والفول غالٍ فاذا حسبنا ثمن ١٢٠ درهماً من الفول ٦ مليمات وثمن ½ رطل اللحم المدهن ٢٠ مليماً كان ذلك مماثلاً للاسعار عندنا وبقي المجموع على حاله لان اسعار سائر المواد مماثلة لاسعارها عندنا

والاساس الذي بُني عليه اختيار هذا الطعام هو ما فيه من الغذاء المقيس بوحدات الحرارة او الفيوح ففي رطل الخبز ١٢٥٠ من الحرارة وفي رطل الرز او المكروني ١٦٠٠ وفي رطل اللبن ٣٠٠ وفي رطل الزبدة الصناعية ٣٣٣٣ وفي رطل اللحم المدهن ٢٠٠٠ وفي رطل الفول ١٢٠٠ ومقدار الحرارة في الاطعمة المذكورة آنفاً ١٤٤٢٥ وهي تكفي بيتاً فيه رجل وزوجته وثلاثة اولاد كما تقدم فيمكن ابدالها بغيرها حتى يبقى ما فيها من الحرارة نحو ١٥٠٠٠ مثال ذلك ان يؤلف طعام هذا البيت في اليوم من المواد التالية

خبز ٥ ارطال فيها	٦٢٥٠	من الحرارة تساوي	٥ غروش
فول رطلان »	٢٤٠٠	» »	١½ »
لبن » »	٣٦٠٠	» »	٣ »
زبدة صناعية رطل فيه	٣٣٣٣	» »	٤½ »
لحم رطل فيه	٢٠٠٠	» »	٥ »
سكر نصف رطل فيه	٩٠٠	» »	½ »
الجملة	١٥٤٨٣	» »	١٨½ »

فهذا الطعام يزيد ما فيه من الغذاء على الطعام الكافي نحو الف من الحرارة ومع ذلك لا يزيد ثمنهُ على ١٨ غرشاً ونصف غرش بالاسعار الحالية

باب التقريظ والانتقاد

الاحكام العقلية

بحث سوري فلسفي في اميركا

الراسخ في الاذهان ان السوريين الذين هاجروا الى اميركا قصدوها طلباً للرزق او العلوم والفنون التي تنيلهم الرزق كالطب والتصوير ولكن ظهر لنا الآن ان بعضهم قصدها للاشتغال بالفلسفة او العلوم النظرية المحضة. فقد جاءتنا الآن رسالة وضعها الدكتور سليم شحاده حورج تمهيداً لنيله رتبة دكتور في الفلسفة وهي تبحث في الاحكام العقلية بحثاً استقرائياً فانهُ استدعى بعض الاساتذة وغيرهم مثل الدكتور فوستر والدكتور بورنج وهما مدرسان في الفلسفة العقلية والمستر بشوب وهو مساعد لمدرس الفلسفة العقلية والمستر رنش ومسى انجلش وهما من طلاب الفلسفة وعرض عليهم بعض المسموعات والمنظورات ليقابلوها بعضها ببعض ويقولوا ما هي احكامهم فيها فيعرض عليهم صوتين مثلاً فيشعر البعض انهما متماثلان والبعض ان الاول اقوى من الثاني او الثاني اقوى من الاول وذلك بالتخمين او بالترجيح او بالظن وتكرر المعروضات والاحكام مراراً ثم يقابل بينها وبين المدة التي يقضيها كلٌّ منهم لابداء حكمهِ. وقد كرَّر هذه التجارب مراراً عديدة ووقف فيها على ٢٥٢٩ حكماً حلَّلها كلها في رسالة طويلة تقلُّ ٣٧ صفحة بحرف دقيق ويظهر لنا انهُ سيكون لهذا البحث شأن في تمرين القضاة وكل الذين يتولَّون التحقيق القضائي حتى يتمرنوا على الاسراع في احكامهم وتطبيقها على الواقع

ديوان الرشيديات

من نظم رشيد افندي سليم خوري من السوريين نزلاء برازيل. حيثما حلَّ السوريون اخذوا معهم آدابهم واخلاقهم وعاداتهم ونشأ منهم نوابغ الشعراء والكتاب ولوكانوا في بلاد لا يفهم احد من سكانها كلمة من لغتهم واذا قرأوا العلوم العصرية واطلعوا على منظومات شعراء الغرب اضافوا الى القديم شيئاً من بهجة الجديد كما ترى في بعض ما في هذا الديوان

من ذلك قول ناظمه في قصيدة عنوانها « من على تل كاشمير الى جبل صنين » قال فيها

ارانيَ في لبنان ما زلت ثاوياً ... فمالي بكاشمير ارانيَ ثاويا
رعى الله اياماً هناك قضيتها ... وما كان غير الحب يشغل بالنا
غداة الهوى العذري لامس مهجتي ... ففجّر ينبوعاً من الشعر صافيا
قصائد ذاب اللفظ منهنّ رقةً ... وسال على تلك الطروس معانيا
يقولون ان السعد يخدم ساعياً ... ولم اشقَ الاّ بعدما صرتُ ساعيا
اذا ما الاماني كان يأساً ختامها ... فاشهى الاماني ان تظلّ امانيا

وقال مخاطباً الحلفاء في الدردنيل

اقلوا فما كثر الدوارع نافعٌ ... وكم دونكم غوّاصة دونها لغمُ
ولا يدخلون الخيل في سمّ ابرة ... فبوغازهم ضنك واسطولكم ضخمُ

وقال راجاً واصفاً نزوله بين سود اميركا الذين يلقبون السوريون تركو

سفرٌ نهايتهُ سفر ... مثل النسيم بلا مقر
ضمير السرى والسير مني ... والبواخر والقطُر
الشمس تمطرني اللظى ... والسحب تمطرني المطر
حتّامَ ابقى دائراً ... حول البسيطة كالقمر
اصطاد الميار السعادة ... وهي من وجهي تفرّ
فكانني مثلٌ يقدمهُ ... الزمان الى البشر
عيشاً تروم سعادةً ... ان لم يساعدك القدَر
ما غادرتني نكبةٌ ... إلاّ ليعقبها أخر
همٌّ يزول بمثله ... كالشوك ينزع بالابر
ايوب سلّم صولجانك ... لست اعظم من صبر
لو ذقتَ يوماً ما اذوق ... لكنتَ اول من كفر
ويزيد في الطنبور اني ... بين ناسٍ كالبقر
لا يفهمون من الحياة ... سوى البطالة والبطر
كن بينهم رجل الزمان ... تظل « توركو » محتقر
يا قلبوان فقد غدوتا ... عبرة لمن اعتبر

حتى العبيد السود قد خلعوا بنا مع من خلع
وطني وبالك موطناً قد مزقتهُ يد الغير
يشقى المقيم اليوم ليلك وليس يسلمُ من هجر
في ذمة الحرب الفروس حياة هذا المختصر

وقال واجاد في عيد الكارنافال (المرافع) في سان باولو

قل هل رأيت شموس العيد في العيدِ تختال بالبيض من اجفانها السودِ
طوراً فرادى على مهلٍ منظمةً مثل العقود وطوراً كالعناقيد
طار الغرور بسيّاراتهنّ فلو داست على الطفل لا تؤذي ولا تودي
يرشقننا بسهامٍ غير جارحةٍ مصنوعة من عصير الند والعود
مرتارةً نافراتٍ فوقنا ورقاً كانهُ مدمع العشاق في الجود
او راميات بهِ شهباً مذنّبةً تقتاد قلبي بحبل غير مشدود
ما زلت حتى انقضى عشرٌ وواحدةٌ من الدجى وكأني غير موجود
يقول صحبي لماذا انت مكتئبٌ وكلنا بين تهليلٍ وتغريد
قلت أعذروني فان اليوم يغلبني قالوا انطلقْ انت مشتاق الى العود
فرحت عنهم وفي عيني وفي كبدي ما ليس يدرون من همٍّ وتسهيد
امشي الهوينا واحشائي مقطعةٌ على نصيب المساكين المناكيد
ارامل ويتامى يعولون على أسدٍ يقضون هذا العيد في البيد
حيث الدبام هي النيران آكلة فلا يرى بينها سهمٌ لتبريد
حيث « الشير » كرات الموت ساقطة مثل الرجوم على هام الصناديد
يأتي على الجيش لا يبقي لهُ اثراً مستأثراً بنصيب الوحش والدود
اولئك العبيدُ في حوياتهم وهنا نحوم نحن على اللذات كالصيد
هذا حدادك يا غربيةُ تلبسهُ على اخٍ بين تنكيلٍ وتنكيد
يا حبذا جهلنا نعمتْ بباطلنا ام الدموع المغازير الجاويد
شرّ الباطه محدودٌ بصاحبها والتمدن شرٌّ غير محدود
عمت مصائبهُ الدنيا وقد بلغت الى السماء على جنح المناطيد

ديوان المازني

الجزء الثاني

صدر هذا الجزء من ديوان عبد القادر الندي المازني مفتتحاً بمقدمة تتناول اغراضاً كثيرة اهمها يخالف القول المأثور وهو ان الشعر اعذبهُ اكذبهُ و يناقض ما يتوخاهُ البعض من الاغراب حتى يقال ان شعرهم بدوتي فحل فقد قال فيهما « لقد طال استقتاف المتأدبين بضرورة الصدق والاخلاص حتى استخف بهم الناس واشتد غلوهم في انكار مكان الحاجة اليهما حتى انكرنا عليهم ما تكلفوهُ من فضول القول وتفاية الكلام وما تجشموهُ من ضروب الاغراب الذي لا يغني عن الادب شيئاً وانواع المعاياة التي لا تعود بطائل ولا ترجع بفائدة . ولعمري لست اعرف شيئاً هو احلى واعذب وروداً من الشعر صدّقنا املهُ المقال وترفعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا اليهِ ولا ضرورة تحملنا عليهِ » .... الى ان قال « وما الشعر الا مكان لا يزال الانسان ينشئها في نفسهِ و يصورها في فكرهِ و يناجي بها قلبهُ و يراجع فيها عقلهُ . والمعاني لها في كل ساعة تجديد وفي كل لحظة تردد وتوليد والكلام فتح بعضهُ بعضاً وكما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك »

وفي هذا الجزء ٣٥٠ صفحة حافلة بالقصائد والمقاطيع . ولقد احسن في نسبتهِ ما ترجمهُ من اشعار الانكليز الى الشعراء الذين ترجم عنهم . والذي ترجمهُ من اشعار ملتن جارى فيهِ ملتن في انهُ لم يلتزم فيهِ قافية واحدة . ولا شبهة ان التزام القافية اوقع في النفس وهو في العربية اسهل منهُ في الانكليزية واذا كانت القصيدة طويلة كقصيدة ملتن فلا مانع من تضمينها قصائد كثيرة او نظمها مربعات او مخمسات او موشحات

ومما يظهر اسلوب المازني قولهُ في وصف نوء البحر وظلام الليل

فيا لكَ من ليلٍ بهيم كأنهُ ... حداد السموات على نسل آدمِ
ويا لكَ من ريح كأن زفيفها ... نواقيس دقت للمنايا الهواجمِ
و يا لك من بحر كان ضجيجهُ ... صراخ اليتامى في وجوه المآتمِ
ورائي وقدامي وفي القلب غلة ... فكيف فراري من ظلامٍ ملازمي

ولهُ في المناجاة

الله في كنف الاحشاء مكنونِ ... يجناحهُ الشوق من بادٍ ومكنونِ
باع الرجاء ولم يبتع بهِ بدلاً ... سوى قنوط طريرِ الغرب مستونِ

الاخبار العلمية

علاج الدوسنطاريا بالانزيم اوزون

اسم الشيء قد يفيد وقد يضرّهُ ولهذا يهتم المخترعون والمستنبطون بتسمية ما يخترعونهُ او يستنبطونهُ اسماء يسهل حفظها وتذكّرها وتُرَى فيها دلالة على حقيقة المسمّى او فائدتهِ . و يظهر لنا ان الدكتور جبرائيل بك بحري مكتشف هذا الدواء الجديد الذي يشفي من انواع الدوسنطاريا لم يوفق التوفيق التام في وضع اسمهِ ولو دلّ هذا الاسم عليهِ دلالة عملية . وعندنا انهُ كان الاجدر بهِ ان يضع لهُ اسماً يكون اسهل دوراناً على الالسنة مثل اسم اوزوبجين اي مولد الاوزون فانهُ يسهل حفظهُ لان كلمة اوزون مشهورة والحق بها مشهور لوجودهِ في الاكسجين والميدروجين والنتروجين

ثم انهُ مما يحسب على هذا الدواء فيؤخر اقبال الاطباء عليهِ كون مستنبطهِ ليس طبيباً ممارساً لصناعة الطب اذ الظاهر ان بعض الاطباء يحسبون من الغضاضة عليهم ان يطفل احد على موائدهم و يستنبط العلاجات لهم ولاسيما اذا كان فيها امر يستحق ان يكون مبدأ جديداً في الطب يصح الجري عليهِ .

ولذلك لم يحفلوا بمكتشفات پاستور في اول الامر فنشبت حرب السبعين ومات جرحى الفرنسويين بالالوف من تعفّن الجروح وتسمم الدم والاطباء الفرنسويون غافلون عن اكتشاف پاستور سبب التعفّن والتسمم ولم يعملوا بهِ الاّ بعد ما سبقهم لستر في انكلترا الى العمل بهِ . وعسى ان يتم لاكتشاف بحري بك ما تم لاكتشاف پاستور اخيراً لاسيما وانهُ يشبههُ في انهُ يتضمن مبدأً جديداً يصحُّ العمل بهِ والبناء عليهِ فان الدكتور بحري وجد بالامتحان انهُ يمكن اماتة المكروبات المرضية بالاكسجين المتولد حديثاً وان بعض الخمائر تولد مقداراً كبيراً جداً من الاكسجين متى اتصلت بالمكروبات المرضية . فاذا اثبتت التجارب ذلك اثباتاً ينفي كل ريب واثبتت ايضاً ان هذه الخمائر لا تضرُّ ابداً بما تفرزه من الاكسجين فهذا الاكتشاف اسلوب جديد في العلاج يصح ان يذكر مع اسلوب پاستور

والمكتشفات الجديدة لا تثبت فائدتها الاّ بالتجارب الدقيقة المتكررة و بقيام الخصوم لها حتى يبينوا عيوبها التي يغفل عنها صاحبها لشدّة رغبتهِ فيها وعطفهِ عليها . و يظهر لنا

ان الدكتور بجري بك جار في هذه الخطة وقد اسفرت تجاربهُ عن نجاح فوق ما انتظر فقد ارانا جدول ٤٣٠ مصابًا بالدوسنطاريا من الاسرى العثمانيين عولجوا بدوائهِ لشفي ٤٠٢ منهم وتوفي ١٢ فقط اي الل من واحد وربع في المئة وبقي واحد لم يشفَ بعدُ . وكانوا مصابين بانواع مختلفة من الدوسنطاريا فالمصابون منهم بدوسنطاريا شيجا كانوا ١٨ شفي منهم ١٧ وبقي واحد مريضاً . والمصابون بدوسنطاريا فلكستر كانوا ٣٢ شفي منهم ٣١ وتوفي واحد . والمصابون بدوسنطاريا لم يظهر نوع مكروبها كانوا ٣٢٥ شفي منهم ٣١٤ وتوفي ١١ . والمصابون بالدوسنطاريا الاميبية كانوا ثلاثة شفوا كلهم . والمصابون بدوسنطاريا لم يعرف نوع مكروبها كانوا ٩٢ شفوا كلهم

فهذه نتائج باهرة . وسينشر بجري بك قائمة سهلة في هذا الموضوع يضمنها خلاصة تجاربهِ كلها و يشرح كيفية اكتشافهِ لهذا العلاج والقواعد العلمية التي بناهُ عليها

ومما هو حريٌّ بالذكر ان المكتشف لم يطلب امتيازاً باكتشافهِ لكي ينتفع بهِ نفعاً ماليًّا كما فعل كوخ مثلاً لما اكتشف التوبركولين . ولعلهُ لو اخذ امتيازاً بهِ وغالى في ثمنهِ لزاد الاقبال عليهِ لان كل معروض مهان ولكن لا شبهة عندنا انهُ اذا اثبتت التجارب الكثيرة فائدة هذا العلاج والاسلوب العلمي المبني عليهِ نال مستنبطهُ منهُ فائدة ادبية تفوق كل الفوائد المادية

الدكتور بيرنج

نعت صحف اوربا الدكتور اميل فون بيرنج الالماني مكتشف معالجة الدفتيريا بالمصل . ولد في مدينة هنسدورف سنة ١٨٠٤ ودرس الطب في احدى مدارس برلين فحاز الشهادة سنة ١٨٧٨ . وفي سنة ١٨٨٩ عين مساعداً في معهد المبجعين ببرلين ثم نقل منهُ الى معهد كوخ الخاص بدرس الامراض المعدية سنة ١٨٩١ فشرع يبحث في الدفتيريا وعلاجها فوفق بعد تعب دام سنتين الى اكتشاف المصل المضاد لها وتحضيرهِ فكوفئ على ذلك بجوائز من اكادمية الطب الفرنسوية . وفي سنة ١٨٩٤ منح لقب بروفسور جزاء اكتشافاتهِ العلمية

ومن اهم الابحاث التي طرقها بعد الدفتيريا بحثهُ في التدرن فنسب معظم حوادث السل في الصغار الى العدوى من شرب لبن البقر المصابة بالتدرن فحضّر نوعاً من التيوبركولين او المصل سمّاهُ « تولاز » ولكنهُ لم يكن افضل من اصناف المصل التي اكتشفت قبلهُ كمصل كوخ وغيرهِ . والعلماء يحسبونهُ هو ولوفلر وارلنج اللذين توفيا مدة الحرب الحاضرة مثلهُ بين رواد علم البكتيريولوجيا الحديثة والمناعة

الدوسنطاريا في شرق بحر الروم

اصدر الدكتوران راشمان ووسفرن من اطباء لجنة الباحث الطبية الانكليزية تقريراً في حوادث الدوسنطاريا التي اصابت الجنود الانكليزية في البلاد الواقعة شرقي بحر الروم مدة الحرب الحاضرة . ومما جاء فيه انهما فحصا مبرزات ٨٧٨ جندياً اصيبوا بامراض معدية فظهر لهما ان ٣٤٫٧ في المئة منهم كانوا مصابين بالدوسنطاريا الباشلية و ١٨٫٣ بالباراتيفويد A و ١٠٫١ في المئة بالدوسنطاريا والباراتيفويد معاً . و ٦٫٢ في المئة بالدوسنطاريا الاميبية . وحيثما وجدت الدوسنطاريا والباراتيفويد معاً كانت الدوسنطاريا هي السابقة

القراص مكان القطن

لما قلّ ورود القطن الى المانيا بسبب الحرب جعلت تفتش عن شيء يقوم مقامهُ فاشار بعضهم باحياء صناعة قديمة بالنسوج معالجة نبات القراص لاستخراج الالياف منهُ ونسجها فشرعوا في ذلك في المانيا وصويسرا معاً . وذلك انهم يزرعون القراص في ارض خصبة في اواخر الشتاء فاذا جاء الربيع و بلغ طول النبت قدماً حشدوهُ واكلوا رؤوسهُ كما يؤكل السانخ ورموا الباقي لضعف الياقهِ وانتظروا النوح الثاني اذ تكون شعرتهُ امتن . وهو ينضج للحصاد في يونيو او يوليو اذ يبلغ طول سوقهِ نحو اربع اقدام فيستخرجون منهُ الالياف بطرق معروفة عندهم . وما تبقى يستعملونهُ للعلف

تذكار السر وليم هجنز

احتفل في كنيسة سانت بول في لندن باقامة تذكار للسر وليم هجنز واللادي قرينتهِ وهو من اعظم فلكيي الانكليز شغف بعلم الفلك ولكنهُ لم يشتغل بهِ ليعيش منهُ لانهُ كان تاجراً غنيًّا بل درسهُ درس مولع بهِ ثم انقطع لهُ وبنى مرصداً في لندن من جيبهِ ولما توفي قام نفر من اصدقائهِ بعد المدة لاقامة تذكار لهُ يذكر اعمالهُ فدرت قرينتهُ بذلك فتعهدت بالانفاق على الاثر من جيبها ولكنها لم تلبث ان توفيت وتركت في وصيتها مالاً لهذا الغرض . فرأى اصدقاء السر وليم ان يكون الاثر الذي يراد اقامتهُ مزدوجاً يكرم بهِ السر وليم وقرينتهُ معاً نظراً الى مشاركتها قرينها في اعمالهِ مشاركة فعلية والى ان بعض المؤلفات التي نشرها السر وليم واسمها انما نشرت باسميهما معاً . وعليهِ نقش تذكار لهُ وآخر اصغر منهُ لقرينتهِ ومثّل بهِ وكشف الستار عنهما بحضور جمّ غفير من العلماء وخطب السر جوزف طمسن رئيس الجمعية الملكية خطبة ابّن فيها الزوجين الكريمين وعدد مناقبهما

هبات روكفلر

بلغ مجموع الهبات التي وهبها روكفلر الغني الاميركي الكبير سنة ١٩١٦ في سبيل العلم والمروءة ١٦٤٩٨٣٠ جنيه اعظمها الهبة الخاصة بتخفيف بلايا الحرب وويلاتها ومقدارها ٨٠٠٠٠٠ جنيه فبلغ مجموع ما وهبهُ لهذه الغاية منذ اول الحرب ٨٣٦٤٠٠ جنيه . ووهب ادارة الصحة ١٢٢٣٠٠ جنيه لمقاومة الدودة المعروفة باسم « هوك ورم » وهي دودة تسطو على الناس في ولايات اميركا الجنوبية وبعض ولايات اميركا اللاتينية والمستعمرات الانكليزية وتبلوم بداء ينسب اليها . ووهب ٢١٣٦٣٠ جنيهاً لمجلس الطب الصيني لينفق على تعليم الطب في الصين

بحموتة أجنّة

شرع الدكتور مول من مدرسة جونس هوبكنس الطبية المشهورة في اميركا ومدير قسم الاجنة فيها منذ ٢٥ سنة يجمع الاجنة البشرية من اسقاط واجنة غير متكاملة وجدت في ارحام امهاتها بعد مماتهن . فجمع في السنين العشر الاول مئة نموذج ثم تولى معهد كارنيجي هذا العمل بعده فزاد ما جمعهُ منها حتى بلغ متوسطهُ السنوي سبعة السنين الاخيرة ٤٠٠ . واشتغل بجمع هذه النماذج اكثر من ٥٠٠ طبيب وجرّاح ومرسل في البلاد الاجنبية

الكبريت في البترول

ظهر من مباحث بعض العلماء انهُ حيثما وجدت منابع البترول وجد الكبريت فيها كثيراً كان ام قليلاً . ولا يعلم مصدرهُ بالتحقيق ولكن مهما يكن من امر فان وجود الكبريت في البترول مضرٌّ به اذ يكسبهُ رائحة كريهة و يقلل لمعان نوره و يسوّد الآنية التي يوضع فيها

مقياس الراحة

تهتمّ مصلحة الصحة الاميركية بعمل آلة تسميها « كرمفورتيمتر » اي مقياس الراحة وهي عبارة عن ميزان لقياس الهواء بالنظر الى راحة الانسان من حيث حرارتهُ ورطوبتهُ وحركتهُ وسائر ما يختص بهِ مما لهُ علاقة براحة الناس . وقد اكملت الآن وضع رسومها و يقال انهُ متى تمّ جاء وافياً بالغرض المروم منهُ

اصلاح خطاء

ورد في مقالة « في بادية الشام » التي نشرت في الجزء الماضي ذكر كتاب « نهاية الارب في معرفة اخبار العرب » والصواب « انساب » لا « اخبار »

فهرس الجزء السادس من المجلد الخمسين

صفحة

٥٢١ سياحة ذرة ماد (مصوّرة)

٥٢٦ حرب الطيارات والنوّاصات

٥٢٩ طرائف من ادب العرب · لنقيب

٥٣٧ استعمار السوريين بين العهدين · للدكتور فيليب حتّي

٥٤٥ الرجوم (مصوّرة)

٥٤٧ الدود المعوي · للدكتور شحاشيري (مصوّرة)

٥٤٩ القَدَرية والجبرية · لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق

٥٥٤ الحياة بعد الموت

٥٦٤ خطبتان تفيستان · للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية (مصوّرة)

٥٧٧ مصر منذ اربعمائة سنة · لديمتري افندي نقولا

٥٨٦ الجزيرة العظمى لمحمد افندي يافر الشيبي

---

٥٨٩ باب المراسلة والمناظرة * حول آكوات العراق · استدراك · ايضاح

٥٩٤ باب الوراثة * عطف الحواشي والذيال · بحث في التوسيم · نظة المحبوب

٥٦٨ باب تدبير المنزل * قضي الامعاء · النعاس ومضغ الطعام · زيت الخروع · الحلاء والاقتصاد

٦٠٤ باب التقريظ والانتقاد * الاحكام العقلية · ديوان الرشيدات · ديوان الذرق · كلمات في الاخلاق · البكتيريولوجيا الزراعية · نظرية الفعل الوضيع

٦٠٩ باب المسائل * وفيه ٩ مسائل

٦١٣ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٠ تبذ